خُلُقكِ أُخَيَتِي

إعداد
صفاء منصور

براعم
BRAEM

جميع الحقوق محفوظة
لشركة
براعم للتجارة والتسويق
محمول / ٠٠٢ ٠١٢/٦٤٢٥٥٠٣

رقم الإيــداع بدار الكتب المصرية
رقم الإيداع 2005/13009
الترقيم الدولي 977-338-145-5

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

الصف والإخراج الفني / سعد طه

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فإذا كانت الأعمال الصالحة هي رأس المال الذي يجنيه المرء المسلم في هذه الحياة الدنيا وعند المآل فإن الأخلاق الصالحة هي أثقلها في موازين العبد يوم القيامة، قال صلي الله عليه وسلم : «ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق» فالصلاح والإصلاح هما مادة إعمار الدنيا وحسن القرار في الآخرة ولهذا كثر الحديث في القرآن الكريم عنه حتى إن مادة (صلح) وما يدور حولها من معاني الإصلاح والصلاح وردت في القرآن الكريم مئة وثمانين مرة فميراث الأرض في الدنيا هو للصالحين : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) وميراث الجنة في الآخرة للصالحين ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ (الرعد: ٢٣) ولهذا كان المؤمن يلهج دائماً بأن يهبه الله الصلاح ويوفقه لطريقه، هو وزوجته وذريته ومن أحب ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف : ١٥) ، والدعوة إلى

الأخلاق الصالحة بعد الامتثال لها والتحلي بها هو من أجل الأعمال الصالحة، وبخاصة عندما يكون بين النساء التي يحتاج إلى هذا الأمر منهن، لأنهن مربيات الأجيال ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب النافع بإذن الله حيث أن إنشاء النساء الصالحات من القضايا التي اهتم بها القرآن صراحة حيث قال الله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٣٤) وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٤) ، والداعيات إلى ذلك بين النساء يرشدن إلى مطلب نبيل ويقمن بعمل جليل له من الله فضله وأجره، فالعمل بالصلاح صلاح والدعوة إلى الصلاح إصلاح، والمصلحون أعظم شأنا من الصالحين نسأل الله أن لا يحرم الجميع أجر المصلحين ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧٠) .

د / عبدالعزيز مصطفى كامل

محاضر سابق بكلية التربية / جامعة الملك سعود

دكتوراه في التفسير / جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أمَّا بعد :

يقول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

من القراءة المتأنية في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وفي التاريخ وواقع الأمم وفي حياة الفرد تصلين إلى حقيقة لا مرية فيها وهي أنه لا أمة بلا أخلاق ولا حياة لفرد دون خلق كريم . إن الإسلام ما هو إلا مجموعة من الأخلاق في عقيدته وعباداته ومعاملاته وفي ذلك يقول الرسول ﷺ : «إن البر هو حسن الخلق » [رواه مسلم (متفق عليه) ٤٦٣٢] .

ونظراً لما انتابنا في هذه الأعصار من انحراف وهبوط ونتيجة لما أصابنا في أخلاقنا من عقد وعلل - وهذه حقيقة تكلم فيها الكثيرون ويعترف بها الجميع - آثرت أن يكون الكلام موجهاً لأخواتي النساء مركزة على الأخلاق الأكثر تمكناً منهن وانتشاراً بينهن والتي نهى الإسلام عنها ؛ وقد بدأته بأنه توجيه إلهي رباني يحث على التحلي بالفضائل والقيم وأتمنى لي ولهنَّ العود الحميد إلى الفضائل التي حثنا عليها ديننا الحنيف ورسولنا الكريم ..

أختي ومن أحبها في الله .. إليك

إليك هذا الكتاب وهذا الجهد المتواضع ؛ فإن كنت ممن تقول أن الأخلاق لا يمكن تغييرها (فالطبع غلاب) وأنه لا يتصور تغيير الباطن كما أنه لا يتصور تغيير الظاهر فلا تجهدي نفسك بقراءة هذا الكتاب .. وإن كنت من المشمرات لنيل جنات عرضها السموات والأرض فتلك هديتي إليك ونصيحتي لنفسي أولاً ثم لك . فأنا أحب لك الخير كما أحب لنفسي . قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [رواه البخاري ومسلم] .

فهلا قبلت تلك الهدية .. !!

واعلمي أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كانت له بصيرة .. لم تخف عليها عيوبها .. وإذا عرف المرء العيب أمكنه العلاج .. ولكن صدقيني أكثر الناس جاهلون بعيوبهم ترى الواحدة القذى في عين أختها ولا ترى الجذع في عينها .

.. من علمت أن الحياة الدنيا قصيرة بالنسبة للآخرة حملت مشقة أيام لتنعم إلى الأبد .. (فعند الصبح يحمد القوم السرى) .

توجيه إلهي

.. نعم إنه توجيه من الله عز وجل لرسوله في آية جامعة لمكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩].

لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما هذا؟ قال: لا أدري حتى أسأل؛ فسأل ثم رجع إليه فقال: إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك» [رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه].

خذ العفو: اقبل الأعذار واعف وتساهل واترك الاستقصاء والبحث والتفتيش عن حقائق بواطن الناس حتى في الإنفاق: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

وأمر بالمعروف: وهو كل أمر معروف يدعو إلى مكارم الأخلاق.

وأعرض عن الجاهلين: يعني إذا سفه عليك الجاهل فلا تقابل السفه بالسفه (١)، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣) ﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

والأخلاق من أهم وأنفع وسائل الدعوة وجذب القلوب لأن الأخلاق في

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية، أبو يوسف الصالح.

الإسلام من قواعده وأسسه الضرورية لأنها تتعلق بمعاملة العبد مع ربه ومع الخلق . لهذا قالت عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ كان خلقه القرآن) وأن الخلق الحسن من مقاصد البعثة النبوية . فيحصر النبي ﷺ الهدف من بعثته فيقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [رواه البخاري] .

■ ... فجاهدي نفسك أُخيتي .

لتقوية ما حباك الله به من أخلاق ؛ أو اكتساب ما فقد منك من فضائل بسبب (التنشئة ، البيئة ، ظروف التربية ..) وما إلى ذلك ، ولك حسن العاقبة في الدنيا والآخرة .

يقول ربنا عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩].

أخلاق الإسلام وسط بين اليهودية والمسيحية

كانت اليهودية ديانة شعب خاص في مرحلة معينة من تاريخه ولم يقصد بها أن تكون رسالة عامة ولا شريعة خالدة كما تدل التوراة نفسها ؛ ولهذا استحفظ الله علماء بني إسرائيل وأحبارهم هذا الكتاب الإلهي ولم يتول هو سبحانه حفظه حتى رأينا التوراة تحتوي كثيراً من قصص الأنبياء تنسب إليهم أشنع الرذائل الخلقية ، لذلك رأينا في أخلاقها الطابع الدنيوي المادي البحت والطابع العنصري البشع ، المتسم بكثير من العنف والقسوة مع اهتمام زائد بالرسومات والشكليات .

المسيحية عالجت هذا الغلو المادي بالغلو الروحي وكثيراً ما يكون معالجة الغلو بغلو مثله لفترة مؤقتة حتى يحدث التوازن ويحقق الانسجام والإعتدال فكان أتباعها هم أبعد الناس عنها وخاصة الغربيون لأنها عرفت بالتزمت والجمود وإماتة الحياة ؛ خاصة حينما أضافت الكنيسة تقاليد جديدة منها الرهبانية .

أما الإسلام : فقد تضمن الكلمة الأخيرة للبشرية وتكفل الله سبحانه بحفظ كتابه ، فلم يتغير فيه كلمة ولم ينقص منه حرف على توالي القرون(١) ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

---

(١) الأخلاق والتزكية ، د. يوسف القرضاوي، الإصدار الأول .

ومن حسن حظنا كمسلمين ، أن جعل الله لنا قدوة نقتدي بها وتتجسد فيها مكارم الأخلاق ، قال الله عز وجل في وصف نبينا وهو يثني عليه سبحانه فيقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ٤] .

إذن لابد من مجاهدة النفس وقهرها حتى تلين وتسلس وتتحقق من حظوظ الدنيا العاجلة ؛ والتمسك بكل فضيلة من الفضائل التي دعا إليها الإسلام وحض عليها رسولنا المصطفى ونتعهد أنفسنا بالتربية . والتربية الجادة والمستمرة .

■ .. إذًا السؤال أُخية ،،

■ لماذا نهتم بالأخلاق ؟

ذلك لأن الإنسان مركب من جسد وروح فالجسد مدرك بالبصر والروح مدركة بالبصيرة .

ولكل واحد منها هيئة وصورة ؛ إما جميلة أو قبيحة والنفس أو الروح المدركة البصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [سورة ص : ٧١ ـ ٧٢] .

فدل ذلك على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إليه سبحانه وتعالى ، فإذا كانت الأفعال جميلة سميت خلقاً حسناً وإذا كانت الأفعال قبيحة سميت خلقاً سيئاً (١) .

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٩٨ ، بتصرف يسير .

التأمل في النفس .. عبادة !!

النفس الإنسانية آية من آيات الله الباهرات ، كالشمس والقمر والليل والنهار لذلك دعا الله المؤمنين إلى التأمل في أنفسهم ، كما دعاهم إلى التأمل في آيات الكون ، فقال عز وجل : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات : ٢٠ ـ ٢١] .

فالتأمل الذاتي المستمر في النفس البشرية ضرورة هامة من أجل تغيير ما فيها نحو الخير ، فكل تغيير يبدأ من النفس ، لذلك يبين لنا العليم الخبير بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الرعد : ١١] .

فالنفس التي تهفو إلى الخير لها الثواب الجزيل وهو الفوز بالجنة والنفس التي تتبع الهوى وتنزع إلى الشر مصيرها جهنم وبئس المصير .

فلابد من مجاهدة النفس وتزكيتها وتربيتها على فضائل الأخلاق (١) يقول المولى عز وجل : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [سورة الشمس : ٧ ـ ١٠] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ١٩٨ ، بتصرف يسير .

وكيف نعجز أخيتي عن تربية أنفسنا وعلى تعويدها مكارم الأخلاق وهو القائل سبحانه : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ [سورة الحديد : ٢١] .

■ .. وكما تعلمين :

أنه لا يستقيم أي بناء إلا إذا كانت له أركان وأعمدة يرتفع بها .

فهكذا الخلق الحسن له عدة أركان يستمد منها قوته واستمراره وهي:

١ – الصبر : والصبر نصف الإيمان قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) ﴾ [البقرة : ٤٥] .

فالصبر يحمل الإنسان على الاحتمال وكظم الغيظ والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة .

٢ – العفة : تحمل الإنسان على اجتناب الرذائل والقبائح وحمله على الحياء وهو رأس كل خير .

٣ – الشجاعة : يقول النبي ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » [رواه البخاري ومسلم ٥٦٤٩] .

وهذه هي حقيقة الشجاعة .

٤ ــ العدل : يحمل الإنسان على الإعتدال في أخلاقه فلا إفراط ولا تفريط (١) .

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية ، أبو يوسف الصالح .

■ وكما تعلمين أيضاً :

أن البناء إذا أتت عليه الزلازل والأعاصير أو الريح والمطر الشديد يكون عرضة للسقوط أو الفساد هكذا الخلق الحسن . فمن تلك الأعاصير التي تعبث به وتذروه في الرياح :

الجهل : يجعل الإنسان يرى الحسن قبيحاً والكمال عيباً .

الظلم : يقول ربنا عز وجل في الحديث القدسي : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا .. » [رواه مسلم وأحمد ٤٦٧٤] .

الشهوة : قال رسول الله ﷺ : « حفت النار بالشهوات » [البخاري ٦٠٠٦] فهي تحمل الإنسان على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والدناءات كلها .

الغضب : فهو يحمل الإنسان على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه [1] جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال عظني يا رسول الله فقال : « لا تغضب » [رواه البخاري] .

ومدار حسن الخلق مع الحق ومع الخلق على حرفين ذكرهما عبد

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية ، ابو يوسف الصالح .

القادر الكيلاني فقال :

« كن مع الحق بلا خَلْقٍ ومع الخلق بلا نفس » .

■ فإذا تأملت أُخية :

هاتين الكلمتين مع اختصارهما لرأيت أنهما جمعتا قواعد السلوك وحوت كل خلق جميل ، ففساد الخُلُق إنما ينشأ من توسط الخَلق بينك وبين الله تعالى وتوسط نفسكِ بينك وبين خلقه .

فكوني يقظة لتفوزي بخيري الدنيا والآخرة .

* * *

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين : ٢٦]

.. اعلمي عزيزتي .. أن الدين خلق ، فشهادة أن لا إله إلا الله خلق .. أي أن تحبين الله بكل كيانك وبكل مافي قلبك وأن تحبي ما يحبه الله .. فالله جواد يحب الجود كريم يحب الكرم ، جميل يحب الجمال ، متكبر ويكره من ينازعه في ذلك ، أي أن تكون أخلاقك من الأخلاق التي يحبها الله ؛ وأن تبتعدي عما نهى عنه سبحانه .. وشهادة أن محمد رسول الله خلق :

قال رسول الله ﷺ : « إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » [رواه أحمد] .

ولاحظي معي .. كلمة أقربكم .

فمن المعلوم أخيتي .. أن الإنسان لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه وحب قربه تبع لمحبة ذاته ؛ بل محبة ذاته أوجبت القرب منه .

ومن منا لا تحب القرب يوم القيامة من الحبيب الشفيع ﷺ .

ولكن ما الدليل أخية ؟ وما هي البينة على ذلك الحب وهذا الادعاء؟! قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٣١] .

فمحبة الرسول وثبات المحبة في القلب إنما يكون بمتابعة أقواله وأعماله وأخلاقه ؛ فليس الشأن أن تحبي الله .. ولكن الشأن أن يحبك الله

ولا يكون هذا إلا باتباع الحبيب المصطفى ظاهراً وباطناً وإذا صدقناه خبراً وأطعناه أمراً وآثرنا طاعته على طاعة غيرنا وأجبنا دعوته فهلا اقتديت وأحببتِ .

لذلك حبيبتي .. سنبدأ سوياً ببعض الأخلاق التي أحبها الرسول ﷺ وتمثلت في شخصه ﷺ لنهتدي ونقتدي بها .. فهلا أذنتِ .. !!

❋ ❋ ❋

المبحث الأول
الأخلاق الفاضلة

١ ـ الحياء

٢ ـ التواضع

٣ ـ الصدق

٤ ـ أدب الحديث

٥ ـ الإخلاص

٦ ـ الأمانة

٧ ـ الجود

٨ ـ القصد والعفاف

٩ ـ الحلم والصفح

١٠ ـ سلامة الصدر من الأحقاد

١١ ـ النظافة والتجمل

١٢ ـ التوازن

(١) الحياء

الحياء أمارة صادقة على طبيعة الإنسان ؛ فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه . وقد وصى الإسلام بنيه بالحياء ؛ وجعل هذا الخلق السامي أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل .

قال رسول الله ﷺ : « إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء » [رواه مالك] .

وقال ﷺ : « الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» [رواه الحاكم] .

وقد مر رسول الله ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء يقول إنك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضرّ بك . فقال رسول الله ﷺ : «دعه فإن الحياء من الإيمان » [متفق عليه] .

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (من قل حياؤه قل ورعه .. ومن قل ورعه مات قلبه) .

ومن أسمى مراتب ومنازل الحياء (١) : الحياء من الله عز وجل فنحن نطعم من خيره ، ونتنفس في جوه وندرج على أرضه ونستظل بسمائه .

والإنسان بإزاء النعمة الصغيرة ممن مثله يخزى أن يقدم إلى صاحبها

---

(١) محمد الغزالي خلق المسلم ، ص ١٥٨ ، بتصرف.

إساءة ، فكيف لا نستحي من الإساءة إلى الله ، الذي غمرنا بآلاءه من المهد إلى اللحد إلى ما بعد ذلك من خلود طويل .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا : إنا لنستحي من الله يا رسول الله ، والحمد لله . قال : «ليس ذلك؛ الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» [رواه الترمذي] .

وما ورد في الأثر (استح من الله كما تستحي من أولي الهيبة من قومك) .

فنحن بحضرة من نجلهم ونحرص على استرضائهم ، نضبط السلوك ونتصرف بحذر ونتكلم بقدر ولكن من نحن ماثلون أمامه ليل نهار ولا تغيب عنه مثقال ذرة؛ المطَّلع على خبايا النفوس ، فلابد أن يكون تهيبنا له أعظم وتأدبنا بشرائعه أحكم .

■ أقوال في الحياء :

فاطمة الزهراء رضي الله عنها تذكرت الموت ذات مرة فبكت وعندها امرأة فلما سألتها عن سبب بكائها قالت إنني أبكي لرؤية الرجال لي بعد موتي وأثناء جنازتي .

فأخبرتها المرأة عن صندوق في اليمن يوضع فيه الميت فلا يراه أحد ، فسرت بذلك وأوصت بحملها فيه بعد موتها .

وكان من أقوالها ﷺ (خير النساء التي لا ترى الرجال ولا يراها الرجال) .

وقال يحيى بن معاذ : من استحي من الله مطيعاً ، استحي الله منه وهو مذنب .

معناه : أن من تعود خلق الحياء من الله في حال طاعته فقلبه مطرق بين يدي ربه إطراق مستح خجل ، فإنه إذا واقع ذنباً استحى الله عز وجل من نظره إليه في تلك الحالة لكرامته عليه ، فيستحي أن يرى وليه ومن يَكْرُمُ عليه ما يشينه عنده (١) .

■ أنواع الحياء :

الأول : خلق وحيلة غير مكتسبة وهو أفضل النعم التي يجب على الإنسان شكرها ومنحة ربانية يجب المحافظة عليها ، وهو يرفع صاحبه إلى تقوى الله .

الثاني : مكتسب من إحدى طريقتين :

أ ــ معرفة الله واستشعار عظمته وقربه واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٦٢١. بتصرف يسير.

الأعين وما تخفي الصدور [١] .

ب ـ مطالعة نعم المتفضل سبحانه ورؤية التقصير في شكرها .

ولكن ابن القيم الجوزية قسمه إلى عشرة أوجه :

١ ـ حياء جناية : كفرار آدم من الجنة هارباً ، قال الله تعالى : (أفراراً مني يا آدم) قال : لا يارب ولكن حياء منك .

٢ ـ حياء التقصير : كحياء الملائكة من الله سبحانه وتعالى ، الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ويوم القيامة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك .

٣ ـ حياء الإجلال : حياء المعرفة وعلى حسب معرفة العبد ربه يكون حياؤه منه .

٤ ـ حياء الكرم : كحياء النبي ﷺ من الذين أطالوا الجلوس عنده في وليمه السيدة زينب رضي الله عنها [١].

٥ ـ حياء الحشمة : كحياء علي بن أبي طالب وهو يسأل الرسول ﷺ عن المذي لمكان ابنته منه .

٦ ـ حياء الاستحقار واستصغار النفس : كحياء العبد من ربه حين يسأله حوائجه احتقاراً لشأن نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه واستعظام

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية.

مسؤوله .

٧ ـــ حياء المحبة : حياء المحب من محبوبه .

٨ ـــ حياء العبودية : حياء يمتزج بخوف ومحبة ومشاهدة العبد من نفسه عدم صلاح عبوديته لله .

٩ ـــ حياء الشرف والعزة : كحياء النفس العظيمة أن يصدر منها ما هو دون قدرها من بذل وعطاء .

١٠ ـــ حياء المرء من نفسه :

فتلك النفوس العزيزة الرفيعة فهي لا ترضى لنفسها بالدون والنقص فيجد نفسه مستحياً من نفسه كأن له نفسين يستحي بأحدهما من الأخرى[١] .

■ اعلمي أخيتي :

أن الحياء في المرأة حلية وجمال وعفة ووقار ، وماذا يبقى لها إذا خلعت ثوب الحياء وراحت تنافس الرجال وتزاحمهم في جميع الأنحاء وتحسب هذا رقياً وتجديداً وما هو إلا تيه وضلال وعفن وخبال .

فهناك بعض المواضع التي يستحب لي ولك فيها الحياء :

أولاً :

كوني حيية ستيرة في ملابسك لا يظهر من معالم جسدك شيء كما

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ٦٢٢ - بتصرف - .

يحكى عن موسى عليه السلام أنه كان لا يرى من جلده شيء ، فقالت بني إسرائيل ما يتستر هذا التستر إلا من عيب بجلده أو آفة ولكن الله برأه مما قالوا فحينما أراد أن يغتسل عليه السلام وضع ملابسه على حجر فذهب الحجر بثوبه وموسى من ورائه يطلب ثيابه حتى انتهى به إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه الله مما قالوا [1] ، يقول ربنا عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦٩] .

ثانياً : نزهي لسانك عن الفحش والعيب وذكر العورات والكلام البذيء.

ثالثاً : اقتصدي في الكلام في المجالس ، فإن بعض الناس لا يستحيون من امتلاك ناصية الحديث في المحافل الجامعة فيملأون الأفئدة ضجراً من طول ما يتحدثون وقد كره الإسلام هذا الصنف قال رسول الله ﷺ : « من تعلم صرف الكلام ، ليستبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً » [رواه أبو داود] .

---

(١) الأخلاق الضائعة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، خالد بن علي بن محمد العنبري .

■ أُخية :

■ لا يمنعك حياؤك :

من التفقه في الدين فعن أم سلمة قالت جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : « نعم إذا رأت الماء » [صحيح البخاري ١٢٧] .

■ ولا يمنعك حياؤك :

من قول الحق فهذا حياء مذموم بل هو عجز ومهانة وذلة .

وذلك أن صاحبة الحياء قد يمنعها حياءها ممن تجلها أن تواجهها بالحق ، فهذه تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستحيت من الناس ولم تستحي من الله وبالمقابل أنت لا تعيبي على أختك قول الحق ، فإن أنت فعلت ذلك فقد تشبهت بالمشركين حينما عابوا على الإسلام أنه حقر الأصنام وفضح عجزها عن خلق ذبابة بل عن حماية نفسها لو هاجمتها ذبابة ، فقالو أنه ليس من الحياء أن تهاجم آلهتهم بهذه الطريقة فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦] .

٢ التواضع

حقيقة التواضع من الأخلاق التي أفل نجمها في معشر النساء ، وإني لأرجو بعد قراءة موضوعه أن يعود إلى بهاءه وإلى أوج حنوه وشفقته بيننا كنساء .

فالمسلم ــ أخيه ــ يتواضع في غير ذلة ولا مهانة ، والتواضع من الأخلاق المثالية والصفات العالية ، والمسلم يتواضع ليرتفع ولا يتكبر لئلا يخفض إذ سنة الله جارية في رفع عباده المتواضعين ووضع عباده المتكبرين قال ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال ، ومازاد عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحداً لله إلا رفعه الله » [رواه مسلم] .

وقال الله سبحانه وتعالى في الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

وقال ﷺ في التواضع : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » [رواه البخاري] .

وهذه بعض من مظاهر التواضع إن رأيتها في نفسك فأنت إذاً متواضعة وإلا فاجتهدي أن تربي نفسك عليها :

١ ــ إذا قمت لأختك التي هي دونك وقابلتيها ببشر وطلاقة وتلطف

معها في السؤال وأجبت دعوتها وسعيت لحاجتها دون أن ترى نفسك خيراً منها فإذاً أنت متواضعة .

٢ ـ إن تأخرت عمن هن أمثالك فأنت متواضعة (أي في السير) .

٣ ـ إن قمت من مجلسك لصاحبة الفضل وكبيرة السن وأجلستيها فيه .

٤ ـ وإن صاحبتيها عند خروجها إلى باب المنزل لتشيعيها فأنت متواضعة .

٥ ـ إن زرت من هن دونك في الفضل والعلم فأنت متواضعة .

٦ ـ إن أكلت وشربت في غير إسراف ولبست في غير مخيلة إذاً أنت متواضعة .

■ ومن أمثلة التواضع :

قال أنس بن مالك ﷺ : (إن الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد رسول الله ﷺ تنطلق به حيث شاءت) [رواه البخاري] .

وما روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج أن ينطفيء فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه ، فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، فقال الضيف : إذاً أنبه الغلام ، فقال عمر : إنها أول نومة نامها فلا تنبهه ، وذهب وملأ المصباح زيتاً ولما قال له الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين أجاب قائلاً : ذهبت وأنا عمر ورجعت

(٢) التواضع

حقيقة التواضع من الأخلاق التي أفل نجمها في معشر النساء ، وإني لأرجو بعد قراءة موضوعه أن يعود إلى بهاءه وإلى أوج حنوه وشفقته بيننا كنساء .

فالمسلم ـ أخيه ـ يتواضع في غير ذلة ولا مهانة ، والتواضع من الأخلاق المثالية والصفات العالية ، والمسلم يتواضع ليرتفع ولا يتكبر لئلا يخفض إذ سنة الله جارية في رفع عباده المتواضعين ووضع عباده المتكبرين قال ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال ، ومازاد عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحداً لله إلا رفعه الله » [رواه مسلم] .

وقال الله سبحانه وتعالى في الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

وقال ﷺ في التواضع : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم » فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » [رواه البخاري] .

وهذه بعض من مظاهر التواضع إن رأيتها في نفسك فأنت إذاً متواضعة وإلا فاجتهدي أن تربي نفسك عليها :

١ ـ إذا قمت لأختك التي هي دونك وقابلتيها ببشر وطلاقة وتلطف

معها في السؤال وأجبت دعوتها وسعيت لحاجتها دون أن ترى نفسك خيراً منها فإذاً أنت متواضعة .

٢ ـ إن تأخرت عمن هن أمثالك فأنت متواضعة (أي في السير) .

٣ ـ إن قمت من مجلسك لصاحبة الفضل وكبيرة السن وأجلستيها فيه .

٤ ـ وإن صاحبتيها عند خروجها إلى باب المنزل لتشيعيها فأنت متواضعة .

٥ ـ إن زرت من هن دونك في الفضل والعلم فأنت متواضعة .

٦ ـ إن أكلت وشربت في غير إسراف ولبست في غير مخيلة إذاً أنت متواضعة .

■ ومن أمثلة التواضع :

قال أنس بن مالك ﷺ : (إن الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد رسول الله ﷺ تنطلق به حيث شاءت) [رواه البخاري] .

وما روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج أن ينطفيء فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه ، فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، فقال الضيف : إذاً أنبه الغلام ، فقال عمر : إنها أول نومة نامها فلا تنبهه ، وذهب وملأ المصباح زيتاً ولما قال له الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين أجاب قائلاً : ذهبت وأنا عمر ورجعت

وأنا عمر [١].

وإلى صاحبة الهمة العالية ومن شمرت عن ساعد الجد في تربية النفس تبتغي رضا الرحمن والفوز بالجنان إليك هذه الدرجة من التواضع :

لا تصح درجة التواضع حتى تقبلي الحق ممن تحبين وممن تبغضين فتقبلينه من عدوك كما تقبلينه من وليك .

وحقيقة التواضع أنه إذا جاءك الحق من أحد قبلتيه منه وإذا كان له عليك حق أديته إليه فلا تمنعك عداوته من قبول حقه ولا من إيتائه إياه [٢] .

واعلمي يرحمك الله : إذا ساد التواضع بيننا كنساء انمحى التفاخر بالجمال واللباس والحسب والنسب ، وذهب البغي وحل محله العطف والحنو . اللهم ارزقنا التواضع يا رب العالمين .

* * *

---

(١) منهاج المسلم ، ابو بكر الجزائري ، ص ١٧١.

(٢) نماذج من الليالي الإيمانية ، أبو يوسف الصالح.

٣ الصدق

إنك تعلمين أخية : أن الله خلق السموات والأرض بالحق وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق فلا يقولوا إلا حقاً ولا يعملوا إلا حقاً ، وإياك أخيتي وسوء الظن فهو كما وصفه الرسول ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » [رواه البخاري] .

ومن المعلوم أن ضد الصدق الكذب .

قال ﷺ : « يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب » [رواه أحمد] .

■ آفة بين النساء :

إياك والكذب في المزاح ، فإنه آفة بين النساء في مزاحهن وقد يستسهلن ذلك أو يستهن به ظانين أن ذلك مجال اللهو ، فلا حظر على أخبار أو اختلاق . ولكن الإسلام لم يرض وسيلة للترويح عن القلوب إلا في حدود الصدق المحض .

فقال ﷺ : « ويل لمن يحدث الحديث فيضحك منه القوم فيكذب ويل له ، ويل له » [رواه الترمذي] .

فكان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا الصدق ، وحينما جاءته امرأة عجوز تسأله هل يدخل الجنة عجوز قال ﷺ : لا فبكت المرأة . فقال ﷺ

أخبروها أن الله قال : ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الواقعة : ٣٦ ـ ٣٧] .

وحذاري أن تكوني أخيتي ممن يطلقون العنان لأخيلتهم في تلفيق الأضاحيك أحاديث مفتراه على ألسنة من تنافسيهن من صديقات وزميلات لتتندري بهن أو تسخري منهن ، وقد حرم الدين هذا المسلك تحريماً تاماً ، إذ الحق أن اللهو بالكذب كثيراً ما ينتهي إلى أحزان وعداوات.

■ **آفة أخرى :**

ومن المشاهد في مجتمع النساء المبالغة في المدح فإن ذلك سبيل ومدرجة إلى الكذب ، قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري : [٣٤٤٥] .

فعن أبي بكر قال : أثنى رجل على رجل عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ : «ويحك قطعت عنق صاحبك .. ثم قال : من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسِب فلاناً والله حسيبه ولا يزكي على الله أحدًا » [رواه البخاري] .

إذاً الصدق مطلوب في كل شيء من مناحي الحياة ، فمثلاً البيع :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامريء مسلم يبيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبر به » [البخاري] .

وكذلك الصدق في الشهادة ، فحذر ﷺ من شهادة الزور والقول بغير الحق ، قال ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً » قلنا بلى . قال : « الإشراك

بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » [رواه البخاري].

وحسبك أخيتي أن تتفكري في الحديث قال رسول الله ﷺ : « تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة » [رواه ابن أبي الدنيا] .

■ وذاك أيضاً :

قال ﷺ : « إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به » [رواه الترمذي] .

ويقول الحق جلا وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

■ ومن ثمرات الصدق :

الطمأنينة وراحة الضمير . يقول ﷺ : « الصدق طمأنينة » [الترمذي].

وأن الصدق يهدي إلى الجنة ...

وأن تكتبي عند الله صديقة فهنيئاً لك ..

اللهم أدخلنا برحمتك في عبادك الصادقين الصالحين يارب العالمين.

٤ أدب الحديث

■ لا يخفى عليك أخية :

أن العقل والبيان نعمتان أنعم الله بهما على بني الإنسان وبهما تميز ابن آدم عن سائر المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [سورة الرحمن : ١ ـ ٤] .

وعلى قدر جلال النعمة يعظم حقها ويستوجب شكرها ويستنكر جحودها وكنودها ، فماذا لو حرمت إحدانا نعمة البيان ؟ هل تخيلتِ معي ذلك !

وعلى قدر إحساسك بهذه النعمة وعظمتها يكون استخدامك لها واستعمالك إياها في طاعة المنعم الكريم .

■ الصمت عبادة :

كثير من النساء لا ينقطع لهن كلام ، ولا تهدأ لألسنتهن حركة فإذا ذهبت تحصين ما قلن وجدت أنه جله اللغو الضائع والهذر الضار ، هل ركب الله الألسنة في الأفواه لهذا ؟ ! هل بهذا تقدر النعمة والمنحة ؟ كلا يقول الله عز وجل : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا

عَظِيماً ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة النساء : ١٤٤] .

سائلي نفسك دائماً : نعم قبل أن تتحدثي للأخريات سائلي نفسك وعوديها ذلك السؤال هل هناك ما يستدعي الكلام ؟ فإن وجدت داعياً إليه تكلمت وإلا فالصمت أولى بك وإعراضك عن الكلام حيث لا ضرورة له عبادة جزيلة الأجر هلا فعلت ؟!.

■ انتبهي يا راشدة :

أن الثرثرة ضجيج يذهب معه الرشد ، وأكثر اللاتي يتصدرن المجالس ويتحدر منهن الكلام متتابعاً تشعرين أنهن لا يستمدن حديثهن من وعي يقظ ولا من فكر عميق بل وربما ظننت أن هناك انفصالاً بين العقل وهذا الكلام المسترسل .

وينصحك الحبيب الشفيع ﷺ حينما ينصح لأبي ذر ويقول : « عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان وعون لك على أمر دينك » [رواه أحمد].

وقال ﷺ : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » [رواه أحمد] .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان) .

وفي الحديث : « إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا يضحك بها المجلس

يهوي بها أبعد ما بين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه » [رواه البيهقي] .

■ ويا جميلة الخصال والفعال :

عودي لسانك قول الجميل : «فـ .. «إنَّ اللسان لما عودت معتاد».

فيروى عن عيسى ــ عليه السلام ــ أنه مر بخنزير فقال له : انفذ بسلام فقيل له : أتقول هذا لخنزير فقال عليه السلام إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء .

وعودي نفسك الكلام الطيب وحلو الحديث مع الأصدقاء والأعداء فمع الأصدقاء تستديمي مودتهم وتمنعي كيد الشيطان أن يوهي حبال الود معهم قال تعالى :

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾ [سورة الإسراء : ٥٣] .

وأما مع الأعداء : فالكلام الطيب يطفيء الخصومة ويكسر من حدتها أو على الأقل يوقف تطور الشر ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) ﴾ [سورة فصلت : ٣٤] .

■ لاقيني ولا تغدّيني :

أخيتي هل تعرفي (هذا المثل العربي) ؟! وهل تعرفين معناه ؟ !

نعم أخيه إن بعض الناس ــ بل كل الناس ــ يرى الحرمان مع الأدب خير من العطاء مع البذاءة .

ويؤيد ذلك قول ربنا عز وجل : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٣] .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق » [رواه البزار] .

■ مواقف تستبد بالنفس وتخرج عن أدب الحديث فانتبهي إليها .. واربأي بنفسك عنها :

وهي المواقف التي يغلب عليها حب الانتصار للنفس ويكون تحقيق الغلبة فيها وترويج المحبة مقدماً على إظهار الحق وفي تلك المواقف تظهر الطبائع المستخفية الرذيلة من عناد وكبر وسفه وآثره في صور منكرة لا يبقى معها مكان لتبين حقيقة أو طمأنينة..

وإن حدث وصرت بموقف من هذه المواقف التي لها خطرها على الدين والفضيلة . فلا يضيق صدرك ولوذي بالصمت وسبحي واستغفري ، تجدي لك من الله عوناً وظهيراً ، والله يوفقك ويسدد لسانك ويرعاك .

ونحن بصدد الكلام عن أدب الحديث يحلو لي أن أتكلم معكن عن صفة ــ نحن النساء بحاجة إليها ــ وخاصة الملتزمات منهن ، وممن اعتقدت في نفسها الكمال وظنت أنه لا مجال للنقاش والحوار ، ولوّت بعنقها عن أختها

وصعرت لها خدها كبراً وعلواً .

نحن بحاجة إلى الحوار الذي يكون مدعاة لفهم الطرف الآخر واستيعابه .. حتى تتقارب الرؤى وتتحد الأهداف .. ويلتئم الصف وتقوى الروابط ويحصل التجاوب وخاصة أن هناك من تعتقد أن كل حوار هو جدل فتقول هازئة : فلنبعد عن الجدل ! !

■ **لذلك نقول :**

ما الفرق بين الحوار والجدل ؟ وما أهمية الحوار وخاصة للمرأة الداعية ؟ وماهي أصول الحوار وآدابه ؟

■ **أولاً : ما الفرق بين الحوار والجدل :**

أ ـ الحوار : فأصله من الحور وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، وهي المحاورة أي المجاوبة والتحاور هو التجاوب وهذا ـ لغة ـ .

أما اصطلاحاً : فمراجعة الكلام بين طرفين بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب . وورد الحوار في القرآن في ثلاثة مواضع : قال تعالى ﴿ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ .. ﴾ ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ [سورة الكهف : ٣٧]

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ [المجادلة : ١] .

ب ـ أما الجدل : فيعني اللدد والخصومة .

وجادله : أي خاصمه ، لذا فقد ورد لفظ الجدل في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً كلها في سياق الذم إلا في ثلاث مواضع :

قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] .

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [سورة المجادلة : ١] .

إذاً الحوار مطلوب ممدوح وخاصة به التراحم والتفاهم والتجاوب ، فهو بعيد عن اللدد والخصومة كما هو الحال في الجدل الذي هو بدوره مذموم مستبعد طالما تحصل به الفرقة والتعصب والخصومة .

ومن هنا تأتي أهمية الحوار للمرأة وخاصة إذا كانت ممن تحمل هم الدعوة إلى الله ؛ فالمسلمة الداعية وسيلتها الكلمة والحوار .. وذلك أن الكلمة رسالة أمانة يجب أن تقال وتؤدى عند الاستطاعة ، فالكلمة الطيبة وسيلتك لعرض الدعوة على الناس والوصول إلى قلوبهم ، وإيضاً وسيلتك في تعاملك مع أخواتك في الدعوة خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر فلابد أن تكوني متمكنة من الحوار محيطة بآدابه فبقدر إحاطتك بذلك تكونين أقدر على النجاح في دعوتك.

■ من أصول الحوار وآدابه :

* أن تكوني حسنة الاستماع للآخرين .

* ألا تعتقدي أو تعلني أن الحق معك وحدك ، ولكن قولي كما قال الإمام الشافعي (قولنا صواب يحتمل الخطأ وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب) .

* أن تكون غايتك الوصول للحق والاعتراف به .

* ألا تستبدي بالحديث ولا تتركي مجالاً لغيرك ولا تدعي مقالاً ولا فرصة لقائلة .

* وإن كنت محاضرة فلابد أن تفهمي نفسية من تخاطبيهن وكذلك مستواهن العلمي وقدراتهن الفكرية .

* أن تعطي الأولوية للحديث للأعلم منك وأهل الفضل والرأي والمشورة .

* التراجع عن الخطأ ، فالرجوع إلى الصواب فضل .

فقد أراد عمر بن الخطاب أن يحدد المهور ، وأعلن ذلك على المنبر ، فقالت امرأة : ليس ذاك إليك يا عمر ، فقد قال تعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة النساء: ٢٠] .

فقال عمر رضي الله عنه : أصابت امرأة وأخطأ عمر وذلك حال وقوفه على المنبر (١) .

---

(١) أدب الحوار في الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ص ٩٣، سيف الدين شاهين.

■ (أفرغت يا أبا الوليد)

وذاك أدب نبوي نتعلمه سوياً .

فحينما جاء عتبة بن ربيعة يعرض على رسولنا صلى الله عليه وسلم المال والسلطان والملك والجاه لأجل أن يترك هذا الدين ، لم يسفهه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتطاول عليه بل ظل صامتاً حتى انتهى وقال له مكنياً إياه (أفرغت يا أبا الوليد) وهذا مع كافر يعرض كفره .. فكيف بمن اتحدت معك في الهدف .. وسلكتما معاً الطريق .. !!

اللهم أجرنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن يا حي يا قيوم .

* * *

٥ الإخلاص

■ **أخيتي :**

كيف نتكلم عن الأخلاق .. ولا نتكلم عن لبابها وسر حياتها ووجودها واستمرارها إنه الإخلاص ، فمن عرفت الله كيف تصرف أي حركة أو سكنة أو عبادة أو عمل لغير الله القوي العزيز ذي الجلال والإكرام الوهاب المعطي المطلع على خبايا النفوس .

■ **واعلمي أخيه :**

أن بواعث الأعمال كثيرة منها القريب الذي يرى مع العمل ومنها الغامض الذي يختفي في أعماق النفس وربما لا يدركه العامل المتأثر به ، ومع أنه سر اندفاعه في الحقيقة إلى فعل ما فعل أو ترك ما ترك .

فانتبهي وفتشي وطهري .. !!

لأن قيمة العمل في الإسلام ترجع إلى طبيعة هذه البواعث التي تمخضت عنه ، وصلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين يرتفعان بالعمل الدنيوي وحتى اللذات التي يتشهاها الإنسان إذا صاحبتها نية صالحة وهدف نبيل تحولت إلى قربة لله عز وجل ، فالرجل يواقع امرأته يريد حفظ دينه وعفافه ، له في ذلك أجر يقول صلى الله عليه وسلم : « وفي بضع أحدكم صدقة .. » .

وكذلك ما ينفق على نفسه وأولاده وزوجته له مثوبة بنية الخير التي تقارنه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله في في امرأتك » [رواه البخاري] .

ما أنفس الإخلاص وأعز بركته ، إنه يخالط القليل فينميه حتى يزن الجبال ، ويخلو منه الكثير فلا يزن عند الله هباءة .

قال صلى الله عليه وسلم : « أخلص دينك يكفيك العمل القليل » [رواه الحاكم] .

وقد حث الإسلام العلماء والمثقفين على الإخلاص ذلك لأن العلم هبة ومنحة من الله للأكرمين من عباده ، فكيف يسخره العالم لعوامل الشر أو أن تختلط به الأهواء والفتن قال صلى الله عليه وسلم : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا تماروا به السفهاء .. ولا تحيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار » [رواه بن ماجة] .

وشتان بين من عرفت ربها وسخرت حياتها بحركاتها وسكناتها لرضى الله .. وبين هذه التي ذهلت عن وجه ربها وسخرت نفسها للدنيا للنيل من كبير أو الاستحواذ على حقير (١) .

■ وتدبري معي أُخية هذا الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة جيء بالدنيا فيميز

(١) خلق المسلم للغزالي ، ص ٦٣ - ص ٦٨ ، بتصرف .

منها ما كان لله وما كان لغير الله رمى به في نار جهنم » [رواه البيهقي] .

فاربطي حياتك بهذه الحقائق .. فحينئذ تستريحين في معاشك وتتأهبين لمعادك فلا يضيرك ما فقد .. ولا يحزنك ما قدم .

■ أقوال في الإخلاص :

قال الجنيد : الإخلاص سر بين الله وبين العباد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله .

وقال مكحول : ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (١) .

مغزى الإخلاص .. هو تنقية العمل من الشوائب والشوائب هي إرادات النفس المختلفة مثل طلب التزين في قلوب الخلق ، أو طلب مدحهم والهرب من ذمهم وما إلى ذلك .

ويعين على الإخلاص أمور ثلاث :

الأمر الأول : أن ترى أن عملك بفضل الله ومنته وتوفيقه فأنت بالله لا بنفسك وقد أوجب عملك مشيئة الله كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [سورة التكوير : ٢٩] .

الأمر الثاني : إياك والرضا بالعمل والسكون إليه ، وأمران معينان لك

(١) تهذيب مدارج السالكين الجزء الأول، ص ٥١٦ - ٥١٨ . بتصرف.

على ذلك :

مطالعة عيوب العمل والتقصير ، وما فيه من حظ النفس ونصيب الشيطان ، فقل عمل من الأعمال إلا وللشيطان فيه نصيب وإن قل ، وللنفس فيه حظ ، وهذا أمر لا يعرفه إلا أهل البصائر الصادقون «وأنت إن شاء الله منهم» ، كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً : التفات العبد في الصلاة هي اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد فإذا كان هذا الالتفات طرفة ولحظة فكيف بالتفات القلب إلى ما سوى الله ؟ وهذا أعظم نصيب للشيطان من العبودية .

الأمر الثالث : أن نعلم أننا أضعف وأعجز من أن نوفي العبودية لله حقها ، ومن آدبها الظاهرة والباطنة فالعارف بربه يستحي من مقابلة الله بعمله لأن لا يرضى بشيء من عمله لربه ولا يرضى نفسه لله طرفة عين[1] .

■ من ثمرات الإخلاص :

* أن المخلص مؤيد من الله ومكفي به سبحانه كما قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

* بإخلاص المرء وتجرده له يكون مدد الله تعالى وعونه وكفايته وولايته .

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥١٨ . بتصرف.

وقد جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته الشهيرة في القضاء قوله : (فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ؟ ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله) .

* السكينة النفسية : فلا تجد المخلص إلا منشرح الصدر مستريح الفؤاد ، اجتمع قلبه على غاية واحدة وهي رضا الله عز وجل ، وانحصرت همومه في هم واحد وهو سلوك الطريق الذي يوصل إلى مرضاته سبحانه ، ولا ريب أن ذلك يريح الإنسان من البلبلة والاضطراب وتنازع الرغبات .

ومن ثمرات الإخلاص حسن الخاتمة [١] .

(اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاك يا واسع الرحمة والمغفرة) .

* * *

(١) الأخلاق والتزكية، يوسف القرضاوي، الإصدار الأول .

٦ الأمانة

الأمانة .. لفظ واسع الدلالة ويرمز هذا اللفظ إلى معانٍ شتى مناطها جميعاً شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه ،ويدرك أنه مسؤول عنه أمام ربه .

قال صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته » [رواه البخاري] .

فلا تكوني ممن يقصرون فهم الأمانة في أضيق معانيها أو آخرها ترتيباً وهو حفظ الودائع ، مع أن حقيقتها في دين الله أضخم وأثقل ..

بل المسلمون يتواصون بها حينما يكونوا على أهبة السفر فيقول الأخ لأخيه : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك .

والأمانة قيمة من قيم المجتمع ويهتم بها الإسلام ويحرص على أن ينتشر الالتزام بها في كل طبقات المجتمع (١) .

■ **والحقيقة أختي :**

أن الأمانة أمانات ، فهناك أمانات للصغير وأمانات للكبير وهناك

---

(١) خلق المسلم ، ص ٤٢ ، بتصرف يسير.

أمانات للمرأة وأمانات للرجل ، وهناك أمانات للحاكم وأمانات للمحكوم ، وأمانات لكل مهنة تختلف عن الأخرى ، فأمانة الطبيب غير أمانة المهندس ، وأمانة التاجر غير تلك التي للمعلم وهكذا .(١)

ومن معاني الأمانة: أن يوضع الشيء في مكانه الجدير به؛ واللائق به فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، فالولايات والأعمال أمانات مسؤول عنها. قال ﷺ : «من استعمل رجل على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» [رواه الحاكم].

وقال ﷺ : « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله» لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم» [رواه الحاكم].

وإنه لمن علامات الساعة أن يوسد الأمر لغير أهله.

■ ومن معاني الأمانة أيضاً :

ألاّ تستعمل المرأة منصبها الذي عينت فيه لجر منفعة إلى شخصها أو قرابتها فإن التشبع من المال العام جريمة وقال ﷺ «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» [رواه أبو داوود].

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾ [سورة آل عمران: ١٦١].

(١) رياض الجنة ، الجزء الرابع ، ص ١٩٩ ، لجاسم عبدالرحمن .

■ ومن معاني الأمانة :

أن تنظري حواسك التي أنعم الله بها عليك وإلى المواهب التي خصك الله بها وإلى ما أحببت من أموال وأولاد فتدركي أنها ودائع الله الغالية عندك فيجب أن تسخريها في قرباته وأن تستخدميها في مرضاته ، فإن امتحنت بنقص شيء منها فلا يستخفنك الجزع متوهمة أن ملكك الخاص قد سلب منك ، فالله أولى بك منك ، وأولى بما أفاء عليك وله ما أعطى وإذا امتحنت ببقائها فما ينبغي أن تفتنك عن طاعة وأن تستقوي بها على معصية[1] فاحفظي الله يحفظك .

■ احفظي أخيتي :

حقوق المجالس التي تشاركي فيها فلا تدعي لسانك يُفشي أسرارها ويسرد أخبارها ، فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس ، وذكرهم ما يدور فيه من كلام قال صلى الله عليه وسلم : « إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة » [رواه أبو داود] .

■ وإياك .. ثم إياك

إياك أخيتي من إفشاء أسرار العلاقات الزوجية فلها قداسة في الإسلام ، فالسفيهة هي التي تثرثر بما يقع بينها وبين زوجها .. فاسمعي

(١) خلق المسلم، لمحمد الغزالي ، بتصرف .

لأسماء بنت يزيد قالت : إنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال قعود عنده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها » فلزم القوم (سكتوا وجلين) فقلت : أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن . قال : «فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون » [رواه أحمد] .

بل إنها من أعظم الأمانات عند الله يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم : « إن من أعظم الأمانات يوم القيامة رجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها » [رواه مسلم] .

فالأمانة أخيتي فضيلة ضخمة ، لا يستطيع حملها إلا من خاف الله واتقاه ، وقد أبان الله أنها تثقل كاهل الوجود فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها . (١)

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] .

ولذلك بعد أن تقرئي الآية التي حمّلت الإنسان الأمانة ، تجدي أن الذين غلبهم الجهل والظلم خانوا ونافقوا وأشركوا ، فحق عليهم العقاب ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة .

---

(١) نفس المصدر السابق ، بتصرف .

قال تعـالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[الأحزاب: ٧٣] .

* * *

٧ الجـود

الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق ، ويضيع مع الشح والإمساك ، ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية وأوصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤) ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٤] .

ولكن الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه حتى لا تستنفذ ماله كله .. وعليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء : ٢٦ ــ ٢٧] .

قال صلى الله عليه وسلم : « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل » [رواه الترمذي] .

■ **فالإسلام (يا كريمة) :**

يدعو إلى الجود والإنفاق ويحارب الكزازة والبخل وسبحان الله

العظيم يعطي الخير وزيادة .

فلقد اعتبر الله العطاء الجميل قرضاً حسناً لا يرده لصاحبه مثلاً أو مثلين بل يرده أضعافاً مضاعفة ، وذلك ليغري العبد بالإنفاق ، فكشف له أن نفقته على غيره وسيلة ليتول الله الإغداق عليه من خزائنه التي لا يلحقها نفاد (١) .

وفي الحديث القدسي « أنفق أنفق عليك يد الله ملآى لا يغيضها نفقة ، سحًاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما عنده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » [رواه البخاري ٤٦٨٤].

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سورة سبأ ٣٩] .

فهلا عودت نفسك على البذل والعطاء ، واليد العليا خير من اليد السفلى.

إن من شروط نجاح الداعية التي تمكنها من النفاد في المجتمع الذي تعيش فيه قيامها بخدمة الآخرين والعمل على قضاء حوائجهم .

■ وللجود أنواع :

١ ـ الجود بالنفس :

من أعلى مراتب الجود كما يروى عن أبي الحسن النوري ، أنه طلب هو

(١) خلق المسلم ، ص ١١٣ .

واثنين من زمـلائه للقـتل ، فلمـا حـضـروا تقـدم هو على زمـلائه المحكوم عليـهم، فقـيل له لماذا ؟ قال : أردت أن أوثرهـم بالدقـائق الباقـية ، كـذلك علي بن أبي طالب لما نام ليلة الهجرة .

٢ - الجود بالرياسة :

وذلك مما يروى أن عمـر بن الخطاب رضي الله عنه عـزل خـالد بن الوليـد عن إمارة الجـيش وولى أبا عبـيدة بن الجراح وبكى أبو عـبيـدة وهو يعطي الرسـالة لخالد بن الوليـد ، فقبل خـالد رأسه وقـال : أنا لا أعمل لعمر ولا لغيره أنا أعمل لله .

٣ - الجود بالرفاهية والراحة وإجمام النفس :

كما يقـول عمرو بن عتبة لإخوانه : إذا خرجنا في رحلة فـاجعلوني في خدمتكم .

وما رأينا في الإمـام حسن البنا الذي كان يجـوب الأقطار يدعو إلى الله عز وجل ، لم يؤثر الراحة والدعة.

٤ - الجـود بالعلم وبذله :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة فصلت : ٣٣] .

٥ - الجود بالجاة : مثل الشفـاعة والمشي إلى رجل ذي سلطان في حاجة الناس .

٦ـ الجود بالعرض : كجـود أبي ضمـضـم (أحد الصحابـة رضوان

الله عليهم) .. تصدق بعرضه .. أي من شتمه أو سبه جعله في حل .

٧ـ الجود بالصبر والاحتمال : وهي مرتبة شريفة من مراتب الجود ، وهي أنفع لصاحبها من مراتب الجود بالمال وأعز له وأنصر له ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار .

٨ـ الجود بالخلق والبشر والبسطة :

يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك ووجهك منبسط إليه » [رواه مسلم والإمام أحمد ٤٣٦٠] .

فالداعية ينبغي أن يعود نفسه طلاقة الوجه مهما كانت الظروف أليمة ضاغطة . يحكى عن أحد الدعاة أنه ذهب ليلقي محاضرة وكان قد غادر بلدته تاركاً أحد أبنائه مريضاً مرضاً شديداً ، وأثناء المحاضرة دخل القاعة رجل من أقرباء المحاضر وأعطاه قصاصة ورق فقرأها وتابع حديثه .. وكان العجب الشديد من الحضور حينما علموا بعد انتهاء المحاضرة .. أن هذه القصاصة كانت تخبره بأن ابنه قد مات .

٩ - الجود بترك مافي أيدي الناس :

وذلك أفضل من سخاء البذل كما قال عبد الله بن المبارك [١] .

نسأل الله أن يهبني وإياكِ همة عالية ونفس طموحة مثابرة مصابرة لنصل إلى تلك المعاني والدرجات العالية .. إنه ولي ذلك والقادر عليه .

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية .. أبو يوسف الصالح .

٨ القصد والعفاف

كما هو معلوم لديك .. أن الإنسان مركب من جسد وروح ، والإسلام كف طغيان أحدهما على الآخر ويرى في تنسيق حاجاتهما عوناً للمرء على أداء رسالته في هذه الحياة ..

فلا تجدين في الإسلام الرهبانية التي تهتم بالروح وتضيق على الجسد ، ولا تلك الحيوانية المادية التي تهتم بالجسد وشهواته ومطاوعة أهوائه ، دونما الاهتمام بالروح ، فالإسلام وسط وهو يطلب من المؤمن أن يطلب الخير في الحياتين الدنيا والآخرة .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) ﴾ [سورة البقرة : ٢٠١] .

وقد جاء النصح لقارون .. مما يؤكد العمل للحياتين معاً ، فإن الدنيا وسيلة للآخرة [١] .

قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص : ٧٧] .

---

(١) خلق المسلم، ص ١٣٧، بتصرف.

■ أولاً : القصد في الطعام :

فلا يكون الإنسان المسلم عبد بطنه وشهوته لما يترتب على ذلك من أمراض وعلل منهكة .

قال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » [رواه الترمذي] .

وإني لأعجب أشد العجب من التي تملأ بطنها بما لذ وطاب وبكل حلو وحامض .. ثم تشتكي السمنة وتبحث وتسأل أهل الأرض عن حل مناسب.

وبين يديها من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ما هو أفضل من كل القوانين الغذائية الأرضية . « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع .. » .

■ واعلمي :

أنه كلما كانت همتك عالية ومرتبطة بمطمح كبير تأكدي أن ذلك سيصرفك عن فنون اللهو (أقصد في الطبخ) وأنواع الملذات الرخيصة .

ويؤيد ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أضاف رجلاً كافراً ، فأمر بشاة فحلبت فشرب حلابها .. ثم أخرى ، ثم أخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه .. ثم أصبح فأسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ثم أخرى فلم يتمه فقال صلى الله عليه وسلم: « إن المؤمن ليشرب في معي واحد والكافر يشرب في

سبعة أمعاء » [رواه مسلم] .

٢ ـ القصد في الملابس :

أي القصد في ارتداء الملابس :

فإنه من الطيش والحماقة أن تجعل الفتيات أجسامهن معرضاً للأزياء تسير بهن بين الناس ، ترتقب نظرات الإعجاب تنهال عليها من هنا وهناك وقد ندد الإسلام بهذا الطيش .

فقال صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وألهب فيه ناراً » [رواه ابن ماجة] .

■ أيّ الثياب تلبسين :

سأل ذلك السؤال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ، فقال : ما ألبس من الثياب ؟ قال : مالا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك فيه الحكماء) [رواه الطبراني] .

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب دون فقال له: « ألك مال » فقال : نعم ، قال : « من أي المال » قال الرجل : من كل المال قد أعطاني الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمته عليك وكرامته » [رواه النسائي] .

ما معنى هذا الحديث أخية ؟

هل معناه : أن تجعلي التزين والإغراء شغلك الشاغل والذي يستغرق وقتك ، ويستهلك ثروتك ؟ فالإسلام أختي يحب البساطة المطلقة في كل شيء ويوصي بنبذ التكلف والمبالغة .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ بن جبل حين بعثه لليمن : «إياك والتنعم ، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين) [رواه أحمد] .

■ واعملي أختي :

أن التوسط لب الفضيلة والتوسط هنا أن تملكي الحياة لتسخريها في بلوغ المثل العليا ، لا أن تملكك الحياة فتسخرك لدناياها ولا أن تحرمي نفسك من الحياة فتقعدي ملومة محسورة .

وهذا ما عناه صلى الله عليه وسلم : عندما قال : « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » [رواه البخاري] .

ومن كانت حياتها جندية لله وجهاد ودعوة لإعلاء كلمة الحق .. كان القصد سبيلها .. والعفاف ديدنها والترفع عن فتن الدنيا وزخرفها سمتها ، فهنيئاً لك إن كنت منهن وأبشري برضا الرحمن والفوز بالجنان .

٩ الحلم والصفح

في الحقيقة أكتب في هذا الخلق ويخالجني شعور ممزوج بالحزن والرجاء ، حزن لأن هذا الخلق أفل نجمه وعز وجوده بيننا كنساء لا أدري لماذا ؟ ! ربما السبب في الضغوط المختلفة أو ربما لكثرة المشاغل وتعدد الواجبات .

ورجاء ، لعل بهذه التذكرة نستعيده في أخلاقنا ونتعهده بتربيته في أنفسنا وتقويته وإنمائه .

وللطباع الأصيلة دخلاً كبيراً في أنصبة الناس من الحدة والهدوء ، ولكن المرأة العظيمة حقاً هي التي حلقت في آفاق الكمال وهي التي اتسع صدرها وامتد حلمها ، وهذه مؤشر ثقة بالنفس ، وثقة بالحق الذي هي عليه.

وهذا المعنى يفسر لنا حلم هود عليه السلام وهو يستمع إلى إجابة قومه بعدما دعاهم إلى توحيد الله ، قالوا : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٦٦ ــ ٦٧] .

ماذا لو أنك بمكان هود عليه السلام وجهلت عليكِ أخت لك ووصفتكِ بما وصف به هود عليه السلام ؟ هل يكون رد فعلك مثل هود عليه السلام؟ أم تكونين كمن قال :

ألا لا يجهلن أحدأ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

■ وليكن من المعلوم لديك أُخيتي :

أنه كلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم ونفر المرء من طلب الهلاك والغضب للمخطئين في حقه .

قيل للرسول صلى الله عليه وسلم : ادع على المشركين والعنهم ، فقال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً » [رواه مسلم] .

وعلى قدر ضبطكِ لسلوكِكِ وكظمكِ لغيظكِ وتجاوزك عن الهفوات ورثائك للعثرات تكن منزلتك عند الله .

عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تعدون الصرعة فيكم ؟ » قالو : الذي لا تصرعه الرجال ، قال : « لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » [رواه مسلم] .

■ من سمات الجاهلية :

سرعة الغضب والجهل على من جهل .. سمة من سمات الجاهلية ، وكان العرب يفخرن بأنهم يلقون الجهل بجهل أشد . يقول قائلهم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

.. أين العقل الراشد إذاً الذي يهيمن على غريزة الغضب ؟ ولكننا نحن معشر النساء لم تزل فينا شأفة من الجاهلية .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أنبئكم بما يشرف به البنيان ويرفع به الدرجات » قالوا : نعم يا رسول الله قال : « تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » [رواه الطبراني] .

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

ومن قصص العفو التي لا مثيل لها بين الناس عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فكان عدواً للمسلمين يتربص بهم الدوائر . . وكما نعلم أنه هو الذي أشاع مقالة السوء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك ، وكان لتلك الحادثة وقعها الشديد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي نفس أصحابه ، ولكن حينما مات هذا المنافق جاء ولده يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن أبيه وطلب منه قميصه أن يكفن فيه والده فمنحه إياه .. ثم طلب منه أن يصلي عليه ويستغفر له لم يرد الرسول الرقيق هذا السؤال ، بل وقف أمام جثمان الطاعن في عرضه بالأمس يستدر له الغفران ولكن العدالة العليا حسمت الأمر كله ، فنزل قول الله تعالى :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (١) [سورة التوبة : ٨٠] .

وروى أن منادياً ينادي يوم القيامة فيقول : ليقم من وقع أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عمن ظلمه .

وأسمع رجلاً معاوية كلاماً شديداً فقيل : لو عاقبته فقال : إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي (٢) .

هل تستحين مثل معاوية أن يضيق حلمك عن ذنوب رعيتك ؟

نعم رعيتكِ ؛ (المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها) رعيتك .. أطفالك ، فكم يضيق ويضيق حلمنا عن ذنوب فلذات الأكباد ، ولا نستحي ولا نرحم صغر سنهم .

فليكن سلوكنا العملي لخلق الحلم هو حلمنا عن ذنوب أطفالنا ..

رحم الله عبداً أعان ولده على بره .. يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره .. ولا يرهقه .. ولا يخرق به .

❊ ❊ ❊

---

(١) خلق المسلم ، ص ١٠٤ ، وما بعدها .

(٢) مختصر منهاج القاصدين.

(١٠) سلامة الصدر من الأحقاد

ليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرءاً من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها وأحس فضل الله فيها وفقر عباده إليها وذكر قوله ﷺ: « اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر » [رواه أبو داود] .

وإذا رأى أذى يلحق بأحد من خلق الله رثى له ورجا أن يفرج الله كربه ويغفر ذنبه . (١)

وهناك القلب الأسود والقلب المشرق ، فالقلب الأسود : يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها .

والقلب المشرق : فإن الله يبارك في قليله وهو إليه بكل خير أسرع .

فعلى أي القلوب تحبين أن يكون قلبك ؟

عن عبد الله بن عمرو قيل يا رسول الله : إي الناس أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب ، صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟ قال ﷺ : « هو النقي التقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» [رواه ابن ماجه] .

---

(١) خلق المسلم ، ص ٨٢ . بتصرف.

وربما عجز الشيطان أن يجعل من الإنسان العاقل عابد صنم ولكنه ــ الشيطان ــ وهو الحريص على إغواءالعباد لم ييأس من التحريش بينهم وإيقاد نيران العداوة في القلوب ، فيستمتع الشيطان برؤيتها لأنها تحرق حاضر الناس ومستقبلهم وتلتهم علائقهم .

قال ﷺ : « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم » [رواه مسلم] .

فكوني : يقظة وضيقي على الشيطان الثغور التي ينفذ منها إلى قلبك وإلى علاقتك بالأخريات وكوني له بالمرصاد حتى يخنس .

ولا شك أن إحدانا لتحزن حينما توجه إليها إساءة فتحزن وتضيق بها.. وتعزم على قطيعة من وجهت إليها تلك الإساءة ، ولكن الإسلام وضع لذلك حداً لأنه لا يرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم ومسلم إلى هذا المصير فقال ﷺ : « لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث » [رواه البخاري] .

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلمة لا تربط بين حظها من الحياة ومشاعرها مع الناس ، ذلك لأنه ربما فشلت هي حيث نجح غيرها وربما تخلفت حيث سبق أخريات .

■ **واعلمي :**

أن الإسلام يتحسس النفوس بين الحين والحين ، ليغسلها من أدران الحقد الرخيص وليجعلها حافلة بمشاعر أزكى وأنقى نحو الناس ونحو

الحياة وذلك بمصافٍ تمر بالقلب كل عام لا بل كل يوم في كل أسبوع ، كل شهر حتى يتخلص القلب مما به من غل وشحناء وحسد وضغينة (١) .

ففي كل يوم أوضح الإسلام أن الصلوات المكتوبة لا يحظى المسلم بثوابها إلا إذا اقترنت بصفاء القلب للناس ، وفراغه من الغش والخصومات.

قال ﷺ : «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً : رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان» [رواه ابن ماجة].

وأما في الأسبوع فإن هناك إحصاء لما يعمله المسلم ينظر فيه ليحاكم المرء على ما قدمت يداه وسره ضميره فإن كان سليم الصدر نجا من العثار .. وإن كان ملوثاً بمأثم الغضب والحسد والسخط تأخر في المضمار.

قال ﷺ : «تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لايشرك بالله إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء. فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا» [رواه مسلم].

وفي كل عام : يبقى المسلم حبيساً في سجن العداوة مغلولاً في قيود البغضاء، فلله نفحات لايظفر بها إلا الأصفياء السمحاء . نسأل الله أن نكون منهم ، ومنها عرفة ، وليلة القدر .

---

(١)خلق المسلم.

فمن مات بعد هذه المصافي المتتابعة والبغضاء لا صقة بقلبه لا تنفك عنه .. فهو جدير بأن يصلي مر النار . فإن ما عجزت الشرائع عن تطهيره لا تعجز النار على الوصول إلى قراره وكي أضغانه وأوزاره.

■ وأخيراً أُخيتي :

(فإن السائر إلى الله لا توقفه الأشواك) .

نعم فإن من امتلأ قلبها بالحب لله والإخلاص له ومعاملته وإيثار مرضاته والتقرب إليه وقرة العين به والأنس به واشتاقت إلى لقائه ـ سبحانه ـ واتخذته ولياً دون سواه بحيث فوضت أمورها كلها لله ، فلا يبقى في قلبها متسع لشهود أذى الناس البتة ، فضلاً عن أن يشتغل قلبها وفكرها وسرها بتطلب الانتقام والمقابلة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [(١)] .

اللهم إنا نسألك من فضلك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

❊ ❊ ❊

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص ٦٧٣ - ٦٧٥ . بتصرف .

(١١) النظافة والتجمل

حرصنا فيما سبق من أخلاق على بواطن أنفسنا وقلوبنا من الأضغان والرذائل ، فهذه الأحقاد والرذائل بمثابة قطاع طرق تحاول قطع القلب ومنعه من الوصول لرب العالمين .

ويجمل بنا الآن أن ندعوك لنظافة الظاهر أيضاً وإن كان من المعلوم للجميع أن المرأة أحرص المخلوقات على التجمل والزينة .. فإن كان ذلك في شخصك فقط ندعوك أن يكون ذلك في بيتك ، في محل عملك ، في كل مكان تطأه قدمك .. ويرتاح فيه جسدك وخاصة إلى من حملت هم الدعوة إلى الله فتكاسلت وتثاقلت عن هذا الجانب نوعاً ما ، وهناك أحاديث كثيرة تحث على النظافة وتدعو إليها قال ﷺ : « تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه إلى الجنة » [رواه الطبراني] .

وكذلك عنى الإسلام بتطهير الفم وتجليه الأسنان وتنقية ما بينها ، قال ﷺ : « لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل علي فيه قرآن أو وحي » [رواه ابن ماجه] .

وكذلك يوصي الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر كريم الهيئة حتى ألحق هذا الخلق بآداب الصلاة .. ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [سورة الأعراف: ٣١] .

وكان الرسول ﷺ يعلم المسلمين أن يهتموا بهده الأمور وأن يلزموها في شئونهم الخاصة حتى يبدو المسلم في سمته وملبسه وهيئته جميلاً مقبولاً [١] .

وعن جابر بن عبد الله قال : رأي النبي ﷺ رجلاً شعث ، فقال : « أما وجد هذا ما يسكن به » ، ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة فقال : « أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » [رواه أبو داود] .

■ **فعليك أُخيتي :**

بالأناقة في غير سرف ، والتجمل في غير صناعة وتزويق وإحسان الشكل بعد إحسان الموضوع وهذا من تعاليم الإسلام الذي ينشد لبنيه علو المنزلة وجمال الهيئة .

هذا بالنسبة لبيتك الكريم الداعي لله ، وليكن بيتك مثال النظافة والتطهير والتخلية من الفضلات والقمامة حتى لا تكون مباءة للحشرات ومصدراً للعلل .

وأنه ليس من العقل والمنطق أن نهتم بوضع الورود واللوحات في المنزل ولا نهتم بتخليته من القمامات والفضلات .

وقديماً قالوا : (التخلية قبل التحلية) .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ،

---

(١) خلق المسلم .

كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» [رواه الترمذي] .

■ لماذا عنى الإسلام بالنظافة ؟

ذلك لأن النظافة من الخصال التي يحبها الله تعالى ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

والطهارة حسية ومعنوية ، حسية وهي النظافة الخاصة ومعنوية هي الطهارة من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق .

■ النظافة سبيل إلى الصحة والقوة :

فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف والبدن أمانة [إن لبدنك عليك حق] .

التجمل يحبه الله ، أن الله جميل يحب الجمال .

النظافة والمظهر الحسن من أسباب تقوية الروابط بين الناس ، فالإنسان السوي بفطرته ينفر من القذارة ويتجنب أهلها .. ولهذا حث الإسلام على الاغتسال قبل الجمعة (١) .

■ إلى من ذهلت عن النعمة المسداة إليها :

أخيتي : إن الصحة والعافية من أعظم نعم الله التي يجب أن تقابل

(١) الأخلاق والتزكية د. يوسف القرضاوي.

بالشكر المستوجب المزيد ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ ﴾ [سورة إبراهيم : ٧] .

يقول ابن القيم : ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به ، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح .

فما أكرمها من نعمة ، وما أجلها من منحة من الوهاب الكريم .

نسأل الله العلي القدير دوامها وأن نستغلها في طاعته سبحانه ..فهي أعظم منحة .. بعد أن من الله علينا بالإسلام .

قال ﷺ : « سلو الله العفو والعافية والمعافاة فما أوتي أحد بعد يقين خير من معافاة » [رواه النسائي] .

ومن السلوك العملي لشكر نعمة الصحة : أن تستعمليها في أداء ما فرض الله عليك من فرائض وعبادات وخدمة الزوج والأولاد ، وخدمة من تعرفين ممن حرموا هذه النعمة العظيمة .

والله يكتب لك الأجر .. ويرفعكِ إلى أعلى الدرجات ..

* * *

١٢ التـوازن

لقد ذم الله تعالى من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه فقال تعالى : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) ﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

ومدح الله تعالى من يسأله أمر الدنيا والآخرة معاً فقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

فجمعت هذه الدعوات كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل وغير ذلك ، وأما الحسنة في الآخرة فدخول الجنة والأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة .

ولم يذكر القرآن القسم الثالث من الناس بحسب التقسيم العقلي وهو من لا يطلب إلا حسنة الآخرة وما له في الدنيا من أرب وكأنه عز وجل يعلمنا أن هذا الصنف لا يكاد يوجد بين الناس [1] .

فالحياة بمتاعبها الجمة وحقوقها المتنوعة تفوت على طالب الآخرة أن

---

(١) نماذج من الليالي الإيمانية.

يدعو ربه ليـيسـر له سبيل دنيـاه ويعـينه علـى أداء حقـوقـهـا ويخـفف من متاعبها .

فالإسـلام جاء بالتوازن والاعـتدال في كل الآفاق والنواحي والاعـتدال بين أشواق الروح وحقوق الجسد بين بواعث الدين ومطالب الدنيا .

* * *

المبحث الثاني

الأخلاق السيئة

١ ـ التكبر

٢ ـ الإعجاب بالنفس والغرور

٣ ـ الإسراف

٤ ـ رفض النقد والنصيحة

٥ ـ اللغو

٦ ـ العصبية

٧ - التنكر للصاحب

مقدمة المبحث الثاني

عشنا سوياً في الباب الأول مع الأخلاق التي حث عليها الرسول صلى عليه وسلم ، ودعانا للتمسك بها .. حاولنا إحياءها وتجسيدها في نفوسنا وقلوبنا ، حباً وطاعة لنبينا ﷺ « إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم » .

أما المبحث الثاني : فهو لقوله ﷺ : « وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » .

فقد نهانا القرآن عن الإسراف بقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف : ٣١] .

ونهينا عن التكبر ففي الحديث القدسي (العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني واحد منهما ألقيته في جهنم) [رواه ابن ماجه] .

وكذا رفض النصيحة وعدم قبولها .. والغرور العجب وحتى نقيم البينة على ادعائنا لمحبة الله ورسوله فلابد من محبته ﷺ وطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، فهلا انتهينا. .

① التكبر

عرفنا من قبل أن التواضع صفة للكريمات التقيات القانتات من النساء اللاتي شعرن مع أخواتهن المسلمات بالشركة في أب واحد والموالاة لدين واحد ، وعرفت أن الكرامة بالتقوى ، والتقوى محلها القلب ، والقلب بيد الله سبحانه وتعالى لا يعلم سره إلا هو جلا وعلا ، فعلام الفخر بالحطام الزائل من جمال أو مال أو حسب أو نسب ؟ ! فكل هذا حطام فاني ؟ !

والأمور تعرف بأضدادها ، فالتواضع ضده التكبر ــ والعياذ بالله ــ وقد رهب الإسلام من يلعب بها الشيطان ويغريها بالتطاول على أخواتها وطلب الاستعلاء في الأرض ، فبين سبحانه أن الجزاء في الآخرة من جنس الذنب المقترف ، بأنهم يتضاءلون يوم القيامة على قدر ما انتفخوا فهم ينكمشون حتى يصيروا هباء ، يضغط في مواطيء النعال [١] .

ففي الحديث يقول ﷺ : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل في كل مكان » [رواه الترمذي] .

■ **إياك والسخرية :**

إن السخرية والاستهزاء داء عياء بين النساء فإنه يمزق أواصر الأخوة ويقطع حبال المودة وسبحان العليم الخبير القائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

(١) خلق المسلم، ص ١٧٢ ، بتصرف .

يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

ولو تأملت معي فيه لرأيت أن بداية الآية وهي ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ شملت التنبيه للرجال والنساء، ولكن الله العليم الخبير يعود بالتنبيه مرة أخرى ليخص النساء، لعلمه سبحانه أن النساء أضعف نفوساً من الرجال، وأن هذا الداء ينتشر بينهن أكثر من الرجال.

والتهكم والازدراء والسخرية صفات وأخلاق تنشأ عن جهالة وغفلة، لأن من حق الضعيف أن يُحمل لا أن ينال منه، ومن حق الحائر أن يُرشد لا أن يضحك عليه.

فإن وجدت بأختك عاهة أو عرضت لها سيئة، فلا يتوقع منك أيتها المسلمة التقية أن تجعلي ذلك مثار تندرك وسخريتك.

والآن ما هو التكبر ؟ وما الفرق بينه وبين العزة ؟

التكبر: هو التعظم أي إظهار العظمة.

وفي اصطلاح الدعاة: فإن التكبر هو إظهار العامل إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم، ويترفع عن قبول الحق منهم.

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » [رواه مسلم] .

■ العزة والفرق بينها وبين الكبر :

التكبر ترفع بالباطل ونكران النعمة وجحودها .

والعزة ترفع بالحق والاعتراف بالنعمة والتحدث بها [١] .

■ من أسباب التكبر :

١ ـ مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم ، ومما ذكر في ذلك قصة صاحب الجنتين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) ﴾ [سورة الكهف : ٣٢] .

٢ ـ ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها .

٣ ـ السبق بفضيلة أو أكثر من الفضائل ، كالعلم والدعوة والجهاد والتربية أو غير ذلك ، ، فينظرون إلى اللاحق نظرة ازدراء واحتقار ولسان حالهم أو مقالهم ينطق استكباراً : ومن هؤلاء الذين يعملون الآن ؟ لقد كانوا عدماً أو في حكم العدم يوم أن مشينا على الأشواك ، وتحملنا متاعب الطريق حتى عبَّدناها لهم ولغيرهم من الناس .

وصدق الله إذ يقول سبحانه : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

---

(١) آفات على الطريق ، د. السيد محمد نوح، الجزء (١-٢) ، ص ١٥٢.

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٣] .

■ ومن مظاهر التكبر :

* الاختيال في المشية مع لي صفحة العنق وتصعير الخد قال تعالى : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحج : ٩] .

قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الحديد : ٢٣] .

* الإفساد في الأرض مع رفض النصيحة .

* التقعر في الحديث قال ﷺ : « ألا أنبئكم بشراركم الثرثارون المتشدقون » [رواه أحمد] .

* محبة أن يسعى الناس إليه ولا يسعى هو إليهم ، وأن يمثلوا له قياماً إذا قدم أو مر بهم ، ومحبة التقدم على الغير في المشي أو في المجلس أو في الحديث (١) .

■ وللتكبر آثاره الخطيرة على الفرد :

١ ــ القلق والاضطراب النفسي .

٢ ــ الحرمان من النظر والاعتبار .

---

(١) المصدر السابق.

٣ ــ الملازمة للعيوب والنقائص : لظنه أنه بلغ بنفسه الكمال ، فهو لا يفتش عن نفسه حتى يعرف أبعادها ومعالمها فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح ، ولا يقبل نصحاً أو توجيهاً أو إرشاداً من الآخرين ، من كانت هذه حالها .. تبقى غارقة في عيوبها ونقائصها ملازمة لها إلى أن تنقضي الحياة وتدخل النار مع الداخلين .

٤ ــ الحرمان من الجنة .

٥ ــ قلة كسب الأنصار والفرقة والتمزق .

فالنفس جلبت على حب من ألان لها الكلام وخفض لها الجناح ونظر إليها من دون لا من عل .. أما من ترفع عليها واحتقرها أو ازدراها ونال منها فإنها تبغضه وتنفر منه وتحاول الابتعاد عنه .

٦ ــ الحرمان من العون والتأييد الإلهي (١) :

قال تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] .

وهذا الخلق ــ أخيتي ــ آفة عظيمة وكيف لا تعظم وقد أخبر عنها المصطفى أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وسبحان الله قلما ينفك عنها العباد والزهاد والعلماء .. وفيها يهلك الخواص ..

فاحذري وانتبهي .. ! !

(١) آفات على الطريق الجزء (١ - ٢) ، د. السيد محمد نوح ، ص ١٦٠.

■ وللتكبر درجات في قلب العبَّاد والعلماء :

١ ـ أن يكون الكبر مستقراً في قلب الإنسان منهم إلا أن يجتهد ويتواضع فهو في قلبه كشجرة مغروسة ولكن مقطعة الأغصان .

٢ ـ أن يظهر لك بأفعاله ، من الترفع في المجالس والتقدم على الأقران، ويصعر خده للناس كأنه معرض عنهم ، وهذا جهل لما أدب الله به نبيه ﷺ حين قال : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٥] .

٣ ـ أن يظهر الكبر بلسانه : كالمفاخرة وتزكية النفس [١] .

ومما قيل في التكبر :

قال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ :

من كانت معصيته في شهوة (فارج له توبة) .. فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً (فغفر له) ، وإذا كانت معصيته من كبر فأخشى عليه اللعنة فإن إبليس عصى مستكبراً فلعن .

■ وأخيراً أخيتي :

استعيني بالله وادعيه بإخلاص أن يخلصك من هذا الداء قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ

(١) مختصر منهاج القاصدين .

اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ [سورة النمل : ٦٢] .

وتذكري دائماً : أن ما وضعه الناس من موازين ومعايير للتفاضل بينهم تسقط ويبقى معيار الله وميزانه : ألا وهو التقوى .

وعن أبي هريرة رضي الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي : ألا إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان ، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم » [رواه البيهقي] .

وحاسبي نفسك أولاً بأول حتى تعرفين الداء قبل أن يستفحل وتتداركينه بالعلاج .

■ **واعتذري ..**

لمن تعاليت عليها بسخرية أو استهزاء ، بل ووضع الخد وإلصاقه بالتراب كما فعل أبو ذر الغفاري لبلال بن رباح حينما عيره بسواد أمه فقال له يا ابن السوداء (رضي الله عنه) .

اللهم جنبنا التكبر .. وارزقنا التواضع لدينك ولين الجانب لعبادك يا حي يا قيوم .

٢ الإعجاب بالنفس والغرور

إن العجب والغرور من الأمراض الخلقية الفتاكة المهلكة بين النساء ، والتي تؤدي بصاحبها إلى النار والعياذ بالله .

يقول الرسول ﷺ : « ثلاث مهلكات ، شح مطاع وهوى متَّبع وإعجاب المرء بنفسه » [رواه البزار] .

والعجب والغرور من الروافد المغذية لداء الكبر ، ولكنهما يخالفانه في المعنى .

فالعجب والغرور هو الفرح والسرور بما يصدر عن النفس من أقوال وأفعال دون التجاوز للآخرين باحتقارهم أو النيل من ذواتهم بخلاف الكبر فهو احتقار الناس وازدرائهم هذا مع الخلق .

أما مع الخالق : فقد تعجب الواحدة بالطاعات وتستعظمها فكأنها تمن على الله تعالى بفعلها ، وتنسى نعمته عليها بأن وفقها لهذه الأعمال وتلك الطاعات .

■ أسباب العجب والغرور :

١ ــ التنشئة : فقد يكون أحد الأبوين مصاباً بهذا الداء .

٢ ــ الإطراء والمدح في الوجه ، دون مراعاة الآداب الشرعية .

٣ ــ صحبة نفر من ذوي الإعجاب بأنفسهم .

٤ ـــ الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم ، فمصدر أي نعمة من الله عز وجل : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة النحل : ٥٣] .

٥ ـــ الركون إلى الدنيا .

٦ ـــ إهمال النفس من المحاسبة والتفتيش .

٧ ـــ الغلو والتشدد في الدين « هلك المتنطعون » أي المجاوزين الحدود في أقوالهم (١) .

وهذا الإعجاب والغرور يؤدي إلى حرمان التوفيق الإلهي والوقوع في شراك التكبر قال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [رواه مسلم] .

وكذلك المعجبة بنفسها والمغرورة تستعصي على النصيحة ، فتبقى ملازمة للعيوب والنقائص .

■ **أخية :**

علام العجب والغرور ؟ ! !

إن العجب والغرور لا معنى لهما لأن الله سبحانه هو المنعم عليك ، بإيجادك وإيجاد أعمالك ، فلا معنى لعجب عاملة بعملها ، ولا عالمة بعلمها

(١) آفات على الطريق الجزء (١ - ٢) ، د. السيد محمد نوح ، ص ١٠٧ - ١٢٩.

ولا جميلة بجمالها ولا غنية بغناها .. إذ كل ذلك من فضل الله عليك ، والآدمي محل فيض النعم عليه ، وكونه محل النعم نعمة أخرى .

فإذا كان العجب بعملك ! ! وأنه حصل بقدرتك !! فاسألي نفسك : من أين لك هذه القدرة ؟ فالقدرة هي مفتاح الله تعالى ، وهذا المفتاح بيد الله ، ولو لم تعطين المفتاح لا يمكنك العمل ! ! كما لو قعدت عند خزانة مغلقة لم تقدري على ما فيها إلا أن تعطين مفتاحها [1] فعلام يكون العجب والغرور ؟ !

وقد علمت أن لكل عمل للشيطان نصيب فيه وللنفس فيه حظ ولا ينجي العمل وحده صاحبه ، قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة أحدٌ منكم بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » [رواه البخاري] .

وإذا كان العجب بالنسب الرفيع والشرف العالي للآباء والأجداد فلتعلمي أن هذا التفاخر باطل ولن ينفع أحداً إلا جهده وكده .

وعن أبي هريرة رضي الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي : ألا إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان ، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم » [رواه البيهقي] .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٩٨. بتصرف.

وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣] .

وقال ﷺ : « يا فاطمة لا أغني عنك من الله شيئاً » [رواه البخاري] .

■ وإلى من تغتر بجمالها .. انظري ! !

انظري إلى باطنك نظرة العقلاء ولا تنظري إلى ظاهرك نظرة البهائم ، وتذكري الموت وما يصير إليه الإنسان من جيفة منتنة وعظام تنخر فيها الدود والحشرات .

■ وإلى من تغتر بالمال ..

فإذا تأملت وجدت أن خلقاً من اليهود هم أغنى منك فأف لشرف تسبق به اليهود ، ويستلبه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلاً .

وإن كنت من المعجبات برأيهن الخطأ فإنه تعالى قال : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [سورة فاطر : ٨] .

وعلاج هذا أشد من غيره .. فإن هذه متى كانت معجبة برأيها لم تصغ إلى نصح ناصح وكيف تترك ما تعتقده نجاة ؟ !

فعلاجها : أن تكون مهتمة دائماً لرأيها ولا تغتر به إلا أن يشهد لرأيها

قاطعاً من الكتاب والسنة .

■ وأخيراً أختي :

فالعلاج العملي للعجب والغرور اللذان يؤديان بدورهما إلى التكبر كالتالي :

ـ استعيني بالله تعالى ، فإنه يعين من دعاه ولجأ إليه ولاذ به ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩] .

ـ حاسبي نفسك أولاً بأول واعملي على تأديبها حتى تقلع عن كل الأخلاق الذميمة .

ـ مقاطعة المغترات والابتعاد عنهن .

ـ عرّضي نفسك بين الحين والآخر لبعض المواقف التي تقتل الكبرياء ، كأن تقومي بخدمة أخواتك اللاتي هن أدنى منك مرتبة ، أو فعل أشياء على هذا النحو .

والله معكِ يوفقكِ ويسدد خطاكِ في درب جهادك مع نفسك .

٣ الإسراف

لا يكاد يذكر الإسراف إلا تذكر المرأة فالإثنان قرينان .. لماذا ؟ !

لأن المرأة بطبعها محبة للتفاخر والتظاهر .. وأن تمتلك كل ما هو جيد من متع الحياة ، فهذا يدعوها إلى السرف .

ولقد أُمر الإنسان بالقصد في الأمور كلها حتى في أمور العبادات حتى لا يملها العبد قال ﷺ : « القصد .. القصد تبلغوا » [أخرجه البخاري] .

والأمور تذكر بأضدادها ، فضد القصد الإسراف وهو منهيٌ عنه .

والإسراف : وهو مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكنى ونحو ذلك من الغرائز الكامنة في النفس البشرية .

■ من أنواع السرف :

١ ــ ما يطلق على الكفر : فمن أسرف على نفسه بالمعاصي حتى وقع في الكفر فهو مسرف على نفسه كذلك كان فرعون من المسرفين ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) ﴾ [سورة يونس : ٨٣] .

وجزاء هذا الصنف من المسرفين النار خالدين فيها إن لم يتوبوا ويؤمنوا .

٢ ــ ما يكون في شراء الأطعمة وأكلها وإتلاف الباقي منها وكذا

الإسراف في الملابس والمركبات والأثاث وغيرها فهو محرم منهي عنه[1].

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] .

■ وأسباب الإسراف كثيرة منها :

١ ـــ النشأة الأولى : فقد تنشأ المرأة في أسرة حالها الإسراف والبذخ أو أن يكون أحد الأبوين مصاباً بهذا الداء .. فتقتدي به .

وينشأ ناشيء الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

٢ ـــ صحبة المسرفين : فالطبع يعدي « المرء على دين خليله » .

٣ ـــ الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وزاد الطريق :

فالحياة الدنيا لا تثبت على حال ، بل هي متقلبة متغيرة (يوم لك ويوم عليك) وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٠] .

وكذلك الطريق الموصلة إلى رضوان الله عز وجل والجنة ليست مفروشة بالحرير والرياحين ولا يكون الزاد بالترف والاسترخاء بل الشدة والحزم ومجاهدة النفس حتى تصل إلى الله آمنة مطمئنة .

٤ ـــ الغفلة عن شدائد وأهوال يوم القيامة .

---

(١) مجلة البيان العدد: ١٨٣، مقال (السرف في الأموال، إبراهيم محمد الحقيل).

فكان ﷺ يقول : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش » [متفق عليه] .

نسيان الواقع الذي تحياه البشرية عموماً والمسلمون على وجه الخصوص ، فالمسلمون اليوم في حال من الذل والهوان يرثى لها ، ويتحسر عليها فلا أظن واحدة تركن إلى الترف والإسراف ، وإلى زهرة الحياة الدنيا .. إلا إذا كانت مغيبة العقل عن ذلك الواقع متبلدة الحس ميتة العاطفة .

■ أخيتي إياك والسرف :

فإنه يقسي القلب : فالقلب يرق ويلين بالجوع ويقسو ويجمد بالشبع ،وحين يقسو القلب أو يجمد فإن صاحبته تنقطع عن البر والطاعات والويل كل الويل لمن كانت هذه حالها ، يقول المولى عز وجل : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزمر : ٢٢] .

ويخمد الذكاء والفطنة ، وقديماً قالوا (إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة) وكذلك تحرمين من الفقه والحكمة التي تميزك عن باقي المخلوقات .

ويسبب الإنهيار في ساعات المحن والشدائد : فإن التي قضت حياتها في ترف واسترخاء ، ولم تألف المحن والشدائد فإن وقعت في شدة أو محنة لا تلقى من الله أدنى عون أو تأييد فتضعف أو تنهار إلا أن يشاء الله لأن الله لا يؤيد ولا يعين إلا من جاهدت نفسها وكانت صادقة مع تلك

المجاهدة [1] .

■ وخافي أخية :

من المساءلة غداً بين يدي الله عز وجل عن هذه النعم ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ ﴾ [التكاثر : ٨] .

■ واحذري :

من الحرمان من محبة الله عز وجل ، وأن تكونين من حزب الشيطان ، فإن ذلك لهو الخسران المبين والضلال البعيد .

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ㉛ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ㉗ ﴾ [الإسراء : ٢٧] .

■ ولا تأمني مكر الله ..

فقد يأخذك الله على حين غرة .. ويعجل لك العذاب في الدنيا ، وتتبدل النعمة (فإن دوام الحال من المحال) فكم من أسر افتقرت بعد الغنى وكم من دول بطرت شعوبها وأسرفت على نفسها فابتلاها الله بالحروب والفتن التي عصفت بها وتمنى أفرادها بعض ما كانوا يملكون من قبل .

(١) آفات على الطريق، الجزء ١ - ٢، ص ٤٣ - ٤٤، الدكتور السيد محمد نوح. بتصرف.

والتاريخ مليء بأحداث من هذا النوع على سبيل المثال :

المعتمد بن عباد ـ رحمه الله ـ كان من ملوك الأندلس ويملك الأموال الطائلة والقصور العظيمة ولما اشتهت زوجته وبعض بناته أن يخوضنً في الطين .. أمر بالعنبر والعود فوضع في ساحة قصره ورش عليه ماء الورد وأنواع من الطيب وعجن فصار مثل الطين ، فتخوضت فيه أسرته المترفة ولم تمر الأسرة حتى ذاقت طعم الفقر وألم الجوع .. إذ استولى يوسف بن تاشفين على مملكة ابن عباد ، وكان النسوة اللاتى تخوضن في العود والعنبر لا يجدن ما يأكلن إلا من غزل الصوف بأيديهن الذي لا يسد إلا بعض جوعهن (١) .

■ **فاعلمي :**

أن عاقبة الإسراف ذلاً وخسراً .

فواجب علينا ألا نطغى إذا ما اعطينا بل نشكر النعم وذلك بتسخيرها في طاعته سبحانه وتعالى والاقتصاد في الإنفاق فهذا سبب لحفظ المال وخير لنا في الدنيا والاخرة .

(١) مجلة البيان العدد: ١٨٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ يناير ٢٠٠٣م.

٤ رفض النقد والنصيحة

وهو داء عضال في أخلاقنا نحن معاشر النساء وتعجز كل المحاضرات الرصينة والمقالات المدبجة عن علاج هذه الداء إذ لم تصحب صاحبة هذا الداء عزيمة قوية ، ومجاهدة للنفس صادقة على التخلص من هذا الداء الذي يكون له أسباب وعواقب وخيمة ، ومخاطر جسيمة تكاد تهلك الحرث والنسل ، وتحول دون التقدم والنهوض .

■ **أخيتي :**

نحن بحاجة كنساء إلى إفشاء التناصح بيننا كحاجتنا للهواء والطعام والشراب لأن العاقبة جنة أو نار فياترى أي الطرق تسلكين ؟ !

والله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه وأهديت إليه على يد من يحب أو من لا يحب .

فتلك عطية الله إليك فلا ترديها ! !

وقولي كما قال عمر بن الخطاب ﷺ : (رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي) .

فما معنى النصيحة ؟ !

النصيحة لغة : هي تخليص الشيء من شوائبه .

واصطلاحاً : أصل النصيحة مأخوذة من قولهم نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، والنِّصاح هو الخيط .

فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بفعل الخياط فيما يسده من خلل الثوب (١) .

ويعيب ربنا سبحانه وتعالى من يرفض النقد والنصيحة بل يتوعده ، يقول عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الكهف : ٥٧] .

بل يتوعد الرسول ﷺ من لا يقوم بواجب النصيحة ومن لا يقبلها بقوله : « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون ، والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أولاً عاجلهم بالعقوبة » .

ثم قرأ ﷺ هذه الآية : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة المائدة : ٧٨ ــ ٧٩]. [رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب العلم] .

(١) آفات على الطريق ، أ . د / السيد محمد نوح الجزء (٥ – ٦) ، ص ١٠.

هكذا تتضافر الآيات والأحاديث على ذم من يوجه إليه نقد أو تسدى إليه نصيحة فلا يقبل .

■ وبواعث رفض النقد والنصيحة كثيرة فإن كان بك خصلة منها فحاولي التخلص منها ، بل اجتثاثها من جذورها .

١ - الإعجاب بالنفس أو الغرور والتكبر :

وذلك لأن المرأة المنصوحة ترى أنها في حالة أرفع وأكبر من أن يوجه إليها نقد أو أن تسدى إليها نصيحة ولا شك أن هذا خذلان وأي خذلان .

قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٦] .

وحسبنا قول ابن مسعود رضي الله عنه : (إن من أكبر الذنب أن يقول الرجل لأخيه اتق الله فيقول عليك نفسك ، أنت تأمرني) .

٢ ــ البيئة التي تنشأ فيها : فمن المفترض أن تتعلم المرأة أثناء طفولتها وتربى على قبول النقد والنصيحة وألا تخالط صديقات لا يقبلن النقد والنصيحة .

٣ ــ شعور المرأة المنتقدة أو المنصوحة بدونية الناقد أو الناصح ؛ أي شعور المرأة بأن من تنصحها هي أدنى منها منزلة أو أقل منها علماً فيحملها هذا الشعور على رفض النصيحة ،ولكن المؤمنة تشعر أن الحكمة

ضالة المؤمن أنى وجدتها فهي أحق الناس بها ، ولو من صغيرة السن أو ممن هي أدنى منها منزلة وأقل علماً .

٤ ــ أن تعتقد المنصوحة أو المنقدة أنها في غنى عن النقد والنصح ظناً منها أنها قد بلغت الكمال متناسية أن الكمال لله وحده ، وأنه لا عصمة لمخلوق سوى الأنبياء والرسل والملائكة (١) .

■ ولكن العاقلة :

هي التي تتهم نفسها دائماً ولا تبرئها من العيب ، لأنها إذا استمرت على هذا المبدأ من رفض النقد والنصيحة فقد تبوء بغضب الله ومقته وتعرض نفسها إلى السخرية والاستهزاء والطعن من الأخريات ، لأنها ادعت لنفسها أشياء ليست فيها ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [سورة الحج : ١٨] .

وكما رأينا فإن القرآن والسنة توعدا من لا يقبل النصيحة وكذلك من لا يقوم بهذا الواجب .

فلماذا بعض النساء يكرهن من يبصرهن بعيوبهن ؟ ! !

■ فعليك أُخيتي :

أن تحمدي الله على أن يسر لك أختاً تنصحكِ وتبصركِ بعيوبك ، فقد

(١) آفات على الطريق .

تغفل الواحدة منا عن كثير من عيوبها لكثرة مشاغل الحياة وهمومها وضغوطها .

واحمدي ربك ثانية ، أن أختك هذه متدينة صادقة لا ترجو لك مذمة إنما نصحاً وتوجيهاً .

فنصيبها على نفسك رقيباً ينبهك كلما خانتكِ أقوالك أو أفعالك .

واقتدي بالصحابة وبالسلف الصالح .

فكانوا رضوان الله عليهم يحبون من ينبههم على عيوبهم ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا بعيوبنا وهذا دليل ضعف الإيمان ، فانتبهي .. ! !

فكان عمر بن الخطاب ﷺ يسأل حذيفة هل أنا من المنافقين؟ وذلك لأنه علت مرتبته في اليقظة واتهامه لنفسه [1] ، ولكن عز هذا في هذا الزمان .

■ **واعلمي أختي :**

أن الأخلاق السيئة كالعقارب ولو أن منبهاً نبهك على أن تحت ثوبك عقرباً لتقلدت له منةً واشتغلت بقتلها كذا الأخلاق الرذيلة الرديئة أعظم ضرراً من العقرب وهذا مالا يخفى على من كانت لها بصيرة وكانت الجنة هدفها وأقصى أمانيها .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٠٣.

■ والعلاج العملي لهذا الداء أُخيه :

* أن تعرفي نفسك وذلك بأن النفس البشرية جبلت على الخطأ إلا من عصم الله من النبين والمرسلين وليس عيباً أن نخطيء ولكن العيب أن نصر على الخطأ .

* ربي نفسك على التواضع وقبول الحق من أي كائن كان .

* تذكري وذكري دائماً بواقع السلف وفرحهم بالنقد والنصيحة ، قال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ وأكثر عليه ، فقال له قائل لقد أكثرت على أمير المؤمنين ، فقال له عمر : دعه فإنه لا خير فيهم إن لم يقولوها ، ولا خير فينا إن لم نقبل .

واعلمي أن النقد كله خير :

إما نقد بناء نفرح به ونرحب به ونبحث عنه ، وإما نقد ظالم نحتسب به ما يصيبنا من أذى وما نتعرض له من ظلم نحتسبه عند الله سبحانه وتعالى ، وبذلك تكثر حسناتك .

■ وأخيراً أخيتي :

راقبي الله عز وجل في أعمالك وأقوالك واعلمي أنه هو المجزي سبحانه على السوء سوءاً وعلى الإحسان إحساناً .

واجعلي الرحمة والشفقة واللين سبيلك في النصيحة ، وإرادة الخير ومثوبة الله هدفك وغايتك .

والله يوفقك ويرعاك . .

٥ اللغـو

اللغو آفة ابتلت بها كثير من النساء بل إنهن ليعقدن جلسات ليس لها هدف إلا اللغو الثرثرة والكلام فيما لا يفيد .

فاللغو إذاً هو الاشتغال بغير النافع والمفيد عن النافع والمفيد .

ومن أنواع اللغو الغناء وهو محرم ، وكذلك كثرة الكلام ، واستخدام الألفاظ النابية والقبيحة .

وقد ذم الله سبحانه وتعالى اللغو بكل أشكاله وصوره ومظاهره ، حيث جعل الإعراض عنه وعن أهله من صفات المؤمنين .

فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ﴾ [سورة المؤمنون ١ ـ ٣] .

ومن صفات أهل الجنة أنهم مطهرون من هذه الرذيلة يقول ربنا عز وجل: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ ﴾ [سورة مريم : ٦٢] .

فاعرفي أختي رسالتك ودورك في الأرض فمتى صارت نفسك فارغة وامتلأت بالباطل فذلك هو اللغو .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۝ ﴾ [سورة محمد : ١٢] .

فاللغو : يقسي القلب ويبدد الطاقات فيما لا فائدة منه [1] .

قال ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » [رواه البخاري] .

■ واعلمي أخية :

أن اللغو يسبب القطيعة بما يحويه من ألفاظ نابية تفرق الأرواح ، وتقطع حبال الود .

■ وأخيراً أخية :

اقلعي عن هذا الذنب .. باستعانتك بالله الذي له مقاليد السموات والأرض وله الحول والطول وهو الكريم لا يبخل بعطائه على عباده ، وهم مقيمون على المعصية ، فكيف لو أرادوا الطاعة وشقوا طريقهم إليه .

وصدق الله القائل : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [سورة النساء ١٤٧] .

وابتعدي عن اللغو فإنه من الفلاح لك في الدنيا والآخرة وأنه من شارات الكمال لذلك ذكره الله بين فريضتين من فرائض الإسلام الصلاة والزكاة كما ورد في سورة المؤمنون .

فلاتجعلي لسانك حبل في يد الشيطان يصرفه كيف يشاء دونما أن

(١) آفات على الطريق الجزء (٥ - ٦) . ص ٤٥.

تملكي أنت ذمامه فلا تجعلي لسانك يقودك وإنما أنت املكيه واصرفيه وقتما تجدي للكلام داعياً (١) .

■ وإياك ومجالس القاعدات :

فليس لهؤلاء إلا أن يقضين أوقاتهن في تسقط أخبار الأخريات وتتبع عيوبهن فلا يجدن شغلاً إلا في التسلي بشئون الأخريات قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ ﴾ [سورة الهمزة : ١ ــ ٤] .

* * *

(١) خلق المسلم ، ص ٤٧ بتصرف.

٦ العصبية

إن من الأسباب التي جعلت الأمة الإسلامية تصاب بالتمزق والتفرق حتى أغلقت كل أمة الأبواب دون الأمم الأخرى المتآخية في الإسلام المتوحدة معها في العقيدة هو الاستعلاء بالنسب وبالعصبية القومية ، ولكن الإسلام الذي دعا للمحافظة على الإخاء بين بنيه مهما اختلفت أوطانهم وعشائرهم أمات هذه النزعات العنصرية والعصبيات الجنسية .

فمن الطبيعي أن يحب المرء وطنه وقومه ولكن لا يجوز له أبداً أن يكون ذلك سبباً في نسيان المرء لربه وخلقه [(١)] .

قال ﷺ : « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » [رواه أبو داود] .

وسئل ﷺ ما العصبية قال : « أن تعين قومك على الظلم » فليس للجنس والوطن من حساب في ميزان الإسلام بل هو ميزان واحد يعرف به أقدار الناس وفضلهم هو ميزان التقوى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهذه العصبية قاطعة لأرحام الإسلام تؤدي إلى التنافر والتدابر والتنازع وإفساد المسلمين .

---

(١) خلق المسلم ، ص ١٧٤.

■ ابتعدي عنها فإنها منتنة ..

قال جابر بن عبد الله كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري ياللأنصار ، وقال المهاجري ياللمهاجرين ، فقال ﷺ : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ » قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال ﷺ : « دعوها فإنها منتنة» [رواه البخاري : ٥٢٥] .

وكما قال الشاعر :

أينما ذكر الإسلام في بلد   عددت أرجاءه من لب أوطاني

* * *

٧ التنكر للصاحب

حقيقة أن أخلاق النساء متقلبة ، كتقلب فصول السنة بل أشد تقلباً من تقلبات الجو الشاتي المغبر المطير .

فتجدي الواحدة تستبدل بالصديقة أخرى ، كما تستبدل بفستان الصيف فستان الشتاء ، فعز في هذا الزمان أن تجدي صديقة صادقة تحرص على نفعك وحبك ، ولا تتخلى عنك سواء كانت راضية أو مغضبة .

وكأنما صار البقاء على الحب والدوام على الود فقط في ساعات الصفاء وأيام الرخاء ، ولكن إذا ما قلبت الحياة ظهر المجن وتغير الحال وتبدل المقام أدارت لك الصديقة ظهرها ، وأعرضت عنك بوجهها وكأن لم تكن بينكم مودة ، فالشدائد تظهر معادن الناس ، وتمتحن الأخوة والصداقة الحقة في وقتها .

قال الفضل بن عياض : (لا أعتقد أخا الرجل في الرضا ، ولكن أعتقد أخاه في الغضب) .

وقال حذيفة : (سيأتي على الناس زمان لا يكون شيء أعز من ثلاث أخ تستأنس به أو درهم حلال أو سنة يعمل بها) (١) .

---

(١) الأخلاق الضائعة.

■ **أُخيتي :**

إذا رزقك الله ود أخت لك في الله فاحرصي على ودها ، ودوام محبتها والبذل والعطاء لها .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إذا رزقك الله ود امريء فتمسك به) .

وعليك بخدمة من تصاحبين ، والتواضع لمن تصادقين وتؤاخين .

قال بن مجاهد صحبت بن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان هو الذي يخدمني .

وكان بشر بن منصور إذا زاره الرجل من إخوانه قام معه يأخذ بركابه.

وهذا ما يؤيده قول الرسول المصطفى ﷺ : « خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » [رواه الإمام أحمد] .

■ **وعليك أيضاً بمواساة من تصاحبين :**

فلا تفرحي حين حزنها ، ولا تحزني إذا فرحت ، بل شاركيها أفراحها وأتراحها ، وأشعريها أن ما وقع لها أو أصابها إنما قد أصابك أنت .

■ **وإليك هذه المواساة الرقيقة :**

قال محمد بن مناذر : كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شعسي

فخلع نعله فقلت ما تصنع قال أواسيك في الحفاء [١].

وتكون المواساة أيضاً بالمال ، فتواسي كل واحدة أختها بالمال إذا احتاجت ، كما روى أبي هريرة رضي الله عنه إذ آتاه رجل فقال : إني أريد أن أؤاخيك في الله ، قال أتدري ما حق الإخاء ؟ قال عرفني ، قال : لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني. قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد . قال : فاذهب عني[٢].

وكوني عوناً لصاحبتك بأن تقضي حاجتها وتقديمها على نفسك ، وتتفقدي أحوالها .. وتسألي عنها إذا ما غابت وترحبي بها إذا دنت منك وتوسعي لها إذا جلست وتصغي إليها إذا حدثت .

لا تحاولي استكشاف أسرارها ولا التطلع إلى خبايا نفسها وتلطفي معها في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر .

أعطيها من لسانك ما تحبه هي منكِ : أن تدعيها بأحب أسمائها إليها ، واذكريها بالخير في غيبتها وحضورها ، وبلغيها ثناء الناس عليها مظهرة اغتباطك بذلك وفرحك به .

العفو عن زلاتها ، والتغاضي عن هفواتها ، والستر على عيوبها ، وإحسان الظن بها ، وإن ارتكبت معصية سراً أو علانية فلا تقطعي مودتك لها ، بل انتظري توبتها وأوبتها .

---

(١) الأخلاق الضائعة.

(٢) نمهاج المسلم ،أبو بكر الجزائري، ص ١١٤، بتصرف.

قال أبو الدرداء (إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم مرة) .

لا تكلفي صاحبتك بما يشق عليها وعليكما أن تطويا بساط التزمت والتكلف والتحفظ فإن بهذه الأشياء تحصل الوحشة المنافية للألفة .

وقال أحد الصالحين : من سقطت كلفته دامت ألفته ، ومن خفت مؤونته دامت مودته ، وبذلك تستوثق عرى الأخوة .. ويقوى رباط المحبة .. وتدوم الألفة والمودة .

■ ومن علامات النبل وشارات الكمال ومن الدين أيضاً :

أن تديمي عهد الصداقة والأخوة فإن قطعها محبط لأجرها ، وإن ماتت الصديقة فتنقل مودتها إلى أولادها محافظة على الأخوة ووفاء لصاحبتها(١) .

فقد أكرم رسول الله ﷺ عجوزاً دخلت عليه ، فقيل له في ذلك فقال : «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » [رواه الحاكم] .

ومن الوفاء ألا تصادقي عدو صاحبتك ، قال الشافعي : (إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك) .

---

(٢) نمهاج المسلم ،ابو بكر الجزائري، ص ١١٥، بتصرف.

■ **وسبحان الله العظيم ..**

إن الواحدة لتموت .. ويقتسمون الأهل والأولاد ميراثها ويتمتعون بما خلَّفت ، ولكن أختها الحقة تنفرد بالحزن ، مهتمة بما قدمت أختها عليه ، وما صارت إليه تدعو لها في ظلمة الليل ، وتستغفر لها وهي تحت أطباق الثرى.

فهنيئاً لمن رزقها الله ود أخت في الله .. وحافظتا على ذلكما الود وهذا الإخاء .

* * *

المبحث الثالث

- ماهو السبيل للسيطرة عى النفس ؟
- ما هو الطريق لتهذيب الأخلاق ؟
- عشر قواعد من فن التعامل مع الناس .
- احتسبي الأجر في تحسين أخلاقكِ !!

والآن أخية .. ما هو السبيل للسيطرة على نفسك .. وما هو الطريق لتحسين أخلاقك ؟

ــ اعلمي ــ أيتها الصابرة التي سلكت درب المجاهدة وهو الجهاد الأكبر ، (جهاد النفس) أنه ليس أشق على الإنسان من مجاهدة نفسه وتغيير مرذول طباعها وتحليتها بمكارم الأخلاق وحسن العادات وفضائل السلوك .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة التغابن : ١٦] .

■ **ولكن حتى تكونين على بصيرة :**

ــ حتى تكونين على بصيرة وأنت تجاهدين نفسك في ضبط السلوك والرقي بالأخلاق .

ــ فاعلمي .. أن وراء كل سلوك وكل نمط خلقي دوافع وخصائص نفسية فما كان منها وراء السلوك المعوج .. فعرضيه لعملية التهذيب والتقليم والقلع والإزالة .

ــ وإن كنت ترغبين في خلق نبيل وسلوك قويم فلتسع إلى إيجاد الخصائص والدوافع النفسية الموجهة له .. فإن لم تكن موجودة .. أوجديها في نفسك بل ونميها إن كانت ضعيفة .

وهذا ولاشك عملية شاقة ومؤلمة .

ـ ولكن بالمران والمجاهدة والإلحاح وتغيير القناعات العقلية والعمل الدؤوب تسلس النفس قيادها ، وتعطي زمامها ، ويسهل حينئذ السيطرة عليها وتوجيهها باستمرار .

ـ قال أحد العارفين : مازلت أسوق النفس إلى الله وهي تبكي حتى صارت إليه وهي تضحك .

ـ فلتعرضي نفسك على رقابة ذاتية ومحاسبة دائمة في أفكارك وعاداتك وسلوكك وأخلاقك وحركاتك وسكناتك (١) .

■ صحة الأخلاق في .. الاعتدال

نعم أخية .. إن الإعتدال في الأخلاق هو الصحة ، والميل عن الإعتدال سقم ومرض . واعلمي أن مثال النفس في علاجها كالبدن في علاجه فكما أن البدن لا يخلق كاملاً .. وأنما يكمل بالتربية والغذاء كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ، وكما أن العلة الموجبة لمرض البدن لا تعالج إلا بضدها ، إن كانت حرارة فالبرودة ، وإن كانت من البرودة فبالحرارة .

فكذلك الأخلاق الرديئة التي هي من مرض القلب علاجها بضدها ، فيعالج مرض الجهل بالعلم ، ومرض البخل بالسخاء ، ومرض الكبر

---

(١) حتى لا تكون كلا، ص ٦١، بتصرف. د. عوض محمد القرني.

بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى [١] .

ـ وكما تصبرين ـ حبيبتي على مرارة الدواء و تصبرين على المشتهيات لصلاح بدنك ، فلابد لك أن تكوني أكثر احتمالاً للمجاهدة والصبر على مداواة مرض القلب فإنه أولى لأن مرض البدن يخلص منه بالموت ، ومرض القلب عذاب يدوم بعد الموت ، فهلا أفقت ؟ !

ـ كوني ذات عزيمة قوية حتى تستطيعين مجاهدة نفسك ، وعاقبيها إن عادت إلى الخور والضعف والأخلاق الرذيلة مثلما فعل هذا الرجل الذي قال : تتكلمين فيما لا يعنيك لأعاقبنك بالصوم سنة [٢] .

ـ أعانك الله ووفقكِ وسدد خطاك ..

* * *

(١) مختصر منهاج القاصدين، ٢٠٠ بتصرف، ابن قدامة المقدسي.

(٢) المصدر السابق.

وإليك عشر قواعد في فن التعامل مع الناس

■ **اعلمي أختي :**

أن الإنسان ليس آلة من الآلات ، وإنما هو إنسان بروحه وجسمه وعقله ومشاعره ، وهو محتاج إلى تغذية هذه الأمور كلها ، وبعض الناس يخطئون عندما يتعاملون مع الإنسان وخاصة في الجانب الدعوي ، فهم يتعاملون مع الفكر فقط أو العقل فقط دون أن يهتموا بمشاعر الإنسان الذي يتعاملون معه ..

ـ ولابد أن يكون دافعك في تحسين أخلاقك هو البحث عن محبة الله ورضاه وأن تحققي الخيرية في نفسك .

ـ عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لها : «إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم وحسن وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» [مسند الإمام أحمد ٤٠٩٨] .

■ **أولى هذه القواعد :**

ـ أن الناس يكرهون من ينصحهم في العلن .

يقول الإمام الشافعي :

تعمدني بنصحك في انفرادي

وجنبني النصـــيـــحــــة في الجــــمـــــاعـــــة
فــــــــــــإن الـنـصـــح بــين الـنـــاس نـــوع
من التـــــوبيـخ لا أرضى اســــتــــمـــــاعـــــه
فــــإن خــــالفـــتني وعـــصــــيت أمـــــري
فـــــــلا تجـــــزع إذا لم تـعـط طـاعـــــــة

■ ثانياً : كراهية الأسلوب المباشر في إعطاء الأوامر

فالصيغة لها دور كبير ، وكان من دأب الرسول ﷺ أنه يشوق الناس لما سوف يأمرهم به فلما أراد أن يسير جيشاً قال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله » .

ــ وكان يستخدم ﷺ أسلوب الخبر ، كما ورد في قصة فقراء مضر فقام وخطب ثم قال : « تصدق رجل من ديناره ودرهمه ..» .

■ ثالثهما : الناس يكرهون الذي ينظر إلى عيوبهم ويترك الحسنات . بل وأحياناً ينساها .

قال ﷺ : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر » [رواه صحيح مسلم] .

ــ فعممي هذا المغزى أثناء تعاملك مع جميع النساء .

فلا أحد يسلم من العيوب ..

وقال سعيد بن المسيب : (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا فيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله) .

■ **رابعها : الناس يكرهون من لا ينسى الزلات ..**

■ **خامسها : الناس يكرهون من يستعلي عليهم .**

حتى ولو كان داعية ، عالماً ، معلماً ، فإن النظرة إلى الناس يجب أن تكون نظرة إشفاق ورحمة ، نظرة الطبيب إلى مريضة ، فقد أكون مشفقاً على شخص كنت أنا مثله أو أن غيري مثله ولا تكون نظرة احتقار أو ازدراء.

وأن يلين ويتواضع لمن ينصحه ، كما فعل الإمام أحمد بن حنبل حينما دق باب هارون بن عبد الله يريد أن يصحح له خطأ له ، فقال هارون من ؟ قال : أحمد ولم يقل الشيخ أحمد .

■ **سادسها : الناس يكرهون من ينسب الفضل لنفسه .**

■ **سابعها : الناس يحبون من يستمع إلى حديثهم، ويحبون من يظهر الاهتمام بهم** . ويقدرهم ويحترمهم ولا أن يحدثهم عن نفسه ، بل يستمع إليهم ، ويشجعهم على أن يحدثوه عن أنفسهم ، بل إثارة المتحدث لكي يبسط الحديث ، ومن ذلك قصة جابر لما سأله الرسول ﷺ : « تزوجت

بكراً أم ثيباً ؟ » قال : بل ثيباً ، قال ﷺ : « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟ »

فشرح له جابر سبب زواجه من الثيب ..

■ **ثامنها : الناس تحب من يفتح لهم المجال لتحقيق ذواتهم مع بناء جسر من الثقة والتعاون والمحبة .**

■ **تاسعها : الناس يحبون التشجيع ويحبون من يشكرهم .**

■ **عاشرها : الناس تحب** من يصحح لهم الخطأ دون جرح مشاعرهم وإبراز الجوانب الإيجابية حين النقد [١] .

ومناداتهم بأحب أسمائهم ، فكان الرسول ﷺ يكني أصحابه حتى الأطفال الصغار ، يقول : يا أبا عمير ما فعل النغير ؟ وأبو عمير هذا طفل صغير .

■ **وأقترح عليك عزيزتي :**

أن تبسطي هذه القواعد من فن التعامل مع الناس في ورقة كبيرة وتعلقيها في مكان قريب من ناظريك ..

وخاصة قبل خروجك لأي اجتماع مع أخواتك النساء .

---

(١) فن التعامل مع الناس . د. عبدالله الخاطر.

■ **وأخيراً أخيتي .. احتسبي في تحسين أخلاقك ما يلي :**

ـــ حسن خلقك إحسان منك لنفسك أولاً وللمسلمين ثانياً ، فقد كففت الشر عنك وعنهم فاحتسبي ثواب الإحسان الذي تولد عن تقواك لله ، والذي يترتب عليه المعية الخاصة من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة النحل: ١٢٨] .

ـــ ثواب طاعة أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون ٩٦] .

ـــ ثواب إصلاح ذات البين بأخلاقك لتنالي الحظ العظيم .

قال تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة فصلت : ٣٤ ـــ ٣٥] .

ـــ أن يكمل إيمانك .

قال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خيركم لنسائهم خلقاً » [رواه الترمذي] .

ـــ لئن ضعفت عن قيام الليل وصيام النهار ، فلن تعجزي عن تحسين أخلاقك لتبلغي منزلتهما أليس كذلك ؟

قال ﷺ : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » [رواه أبو داود] .

ـ أن يحبك الله ورسوله وأن يكون مجلسك يوم القيامة قريباً منه ، قال ﷺ : « إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً » [رواه الترمذي] .

ـ احتسبي أن يكون خلقك سبباً لدخولك الجنة بإذن الله ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : « تقوى الله وحسن الخلق » [رواه الترمذي] .

ـ احتسبي أن يثقل ميزانك يوم تخف الموازين .

قال ﷺ : « ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة .. من حسن خلق ، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء » [رواه الترمذي] (١) .

* * *

(١) كيف تحتسبين الأجر، ص ١٥، هناء بنت عبدالعزيز الصنيع.

وقفة وداع

وبعد .. أيتها القارئة العزيزة : فلم أستقص كلا من الأخلاق التي يجب الابتعاد عنها ، ولكن ركزت على ما فشا وانتشر منها ، وكذا ما قابلها من أخلاق نحب تواجدها وإنماءها ، ولعل أن تكون بيننا وقفات أخرى ..

ـــ وإني لأرجو الله .. أن تكوني مع فراغك من قراءة هذه السطور أن تكوني قد اكتسبت القدرة على مجاهدة النفس لتتجنبي الأخلاق الذميمة .. وعرفت دوافعها .. بل واجتثثتيها من أصولها ..

ـــ وأن تكون عرفت هدفك .. وجعلتيه نصب عينك وهو اكتساب رضا الله عز وجل .. والفوز بالقرب منه .

ـــ ولتكن وسيلتك لتحقيق ذلك الهدف الصبر والمصابرة والجد والعزيمة القوية والمجاهدة الصادقة .

ـــ فإن تحقق لك هذه القدرة وتلك المجاهدة فهذا ما تأمل النفس وترجو.. وإن لم تتحقق فحاولي وعودي لقراءة هذه السطور مرة أخرى لعل وعسى .. وأخيراً أختي :

ـــ فقد محضت لك النصح وبذلت لك الجهد فما وجدت من صواب فالفضل لله وحده وما وجدت من خطأ فأستغفر الله منه .

ـــ وفقني الله وإياك إلى ما يحب ويرضى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

* * *

المراجع

- نماذج من الليالي الإيمانية

(أبو يوسف الصالح)

- الأخلاق والتزكية

(د . يوسف القرضاوي)

- مختصر منهاج القاصدين

(ابن قدامة المقدسي)

- منهاج المسلم

(أبو بكر الجزائري)

- تهذيب مدارج السالكين

(ابن الخوري)

- الأخلاق الضائعة

(خالد بن علي بن حمد العنبري)

- خلق المسلم

(محمد الغزالي)

- أدب الحوار الإسلامي (الطبعة الأولى)

(سيف الدين شاهين)

ـ رياض الجنة (الجزء الرابع)

(جاسم عبد الرحمن)

ـ آفات على الطريق الأجزاء (١ ـ ٢) (٥ ـ ٦)

(د . السيد محمد نوح)

ـ مجلة البيان ـ العدد (١٨٣)

(مقال : إبراهيم محمد الحقيل)

ـ حتى لا تكون كلاً

(د. عوض بن محمد القرني)

ـ فن التعامل مع الناس

(د . عبدالله الخاطر)

ـ كيف تحتسبين الأجر

(هناء بنت عبد العزيز الصنيع)

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
ـ تقديم	٥
ـ تمهيد	٧
ـ أختي ومن أحبها في الله .. إليك	٨
ـ توجيه إلهي	٩
ـ أخلاق الإسلام وسط بين اليهودية والمسيحية	١١
ـ لماذا نهتم بالأخلاق ؟	١٢
ـ التأمل في النفس عبادة !!	١٣
ـ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون	١٧
❖ **المبحث الأول (الأخلاق الفاضلة)**	١٩
١ – الحياء	٢١
٢ – التواضع	٢٨
٣ ـ الصدق	٣١
٤ – أدب الحديث	٣٤
٥ ـ الإخلاص	٤٢
٦ ـ الأمانة	٤٧
٧ ـ الجود	٥٢
٨ – القصد والعفاف	٥٦
٩ـ الحلم والصفح	٦٠

هـذا الكـتاب ...

تناوُل جَديد .. وطرحٌ مُشوِّق لجُمْلةٍ من أخلاق الإسلام العالية تَخُصُّ المرأة المؤمنة الصالحة التى تؤمن بأن حسن الخلق طريقها إلى نَيْل رضى الله تبارك وتعالى، والتى تُجَاهد نفسها لتَسلُك بها طريق الدرجات العالية، وقد سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة . فقال عليه الصلاة والسلام (تقوى الله وحسن الخلق) .

- وهو جولة فى بُستان الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وبالأخص المؤمنات الصالحات ذوات الفضل والسبق .
- وهو قطوف من زهرات الأخلاق اليانعات نعطر بها حياتنا لننعم نحن وذوينا وأخواتنا فى الدنيا والآخرة

المؤلفة

دار العلياء للنشر والتوزيع
الرياض - هاتف: ٤٦٢٨٧٩٢ / ٤١٦٠٦٨٣ - فاكس: ٤٦٢٨٧٩٢
إدارة التسويق: ٠٥٠٣١١٠٧٤٤

دار طيبة للنشر والتوزيع
135959
SR10.00